بسم الله الرحمن الرحيم

صدى الرسالة

السنة ٩

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى الرّسالة
النّاشر: العتبة العبّاسية المقدّسة – قسم الشّؤون الفكرية والثّقافية.
الإعداد والتّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات.
التّصميم : حسين شمران – حسين عقيل.
الطّبعة: الأولى.
عدد النّسخ: ١٠٠٠
شهر ربيع الأوّل : ١٤٣٦هـ.
حقوق النّشر والتّوزيع محفوظة للعتبة العبّاسية المقدّسة

المحتويات

١١ أعظم شخصيّة في التّاريخ

٢٣ كيف نجح الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله في تغيير الآخرين

٣١ الإمام الصادق عليه السلام في مواجهة الانحراف

٣٧ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله شخصيّة عالميّة

٤٧ الشّورى والاستشارة في حياة الرّسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله

٥٧ تساؤلات حول نبي الرّحمة صلى الله عليه وآله

٦٧ المذهب الجعفري

٧٣ الإمام الصادق عليه السلام منهجه التربوي

٨١ النبي محمد صلى الله عليه وآله في دعاء فاطمة الزهراء عليها السلام

٩٣ شذرات من حياة المقداد الكندي -رضوان الله عليه-

١٠٧ سيّد الكون

في البدء

عندما نبحث في تاريخ الفكر الإنساني، تتألّق شخصية الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- في ذروة التّراث الإنساني.

ومن الطبيعي أن يكون النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- أغنى مصادر النّور، فهو أعلى القمم البشريّة، الذي لم تطمح إلى مطاولته العبقريات في لحظات جنون الكبرياء، متى يطال إنسان تبلور حتى خشعت له غرر الملائكة، وانتجبه الله تعالى - بجدارة - سيّد أنبيائه، وأقرب عباده إليه، ثمّ منحه رسالة السّماء الكاملة، التي لم يُؤثِر بها مائة وأربعة

وعشرين ألفاً من الأنبياء، وخوّله قيادة البشر حتى الأبد، فإذا هو خاتم أقفلت بعده السماء، وأمّته خير أمّة أُخرجت للناس.

كانت أخلاق النبيّ -صلى الله عليه وآله- مدرسة أعدّها الله -سبحانه- كالشّمس التي تجري لمستقر لها، فتكتسب منها الأقمار أنوارها، بقدر طاقتها على الاكتساب، وتستوحي منها مقاييسها الأرض والفضاء، دون أن ترضخ هي لمقياس في الأرض أو الفضاء. وحتى دون أن تنعطف إلى ما ورائها، لترى ما يدور حولها وما يقدّر لها من مقاييس وحسبان، وإنّما تدأب في مجراها الطّويل، ونحو هدفها العظيم، بقوّة واندفاع، وهي تعرف الأمام ولا تعرف الوراء.

حينما يبحث الإنسان في ثنايا التاريخ يجد -هناك- عباقرة وعظماء استطاعوا أن ينالوا درجة المجد، ويقتطفوا زهور الفلاح، وتمكنوا من أن يرشّوا عبير الخير والتّقوى على جبين المجتمع.

وفعلاً .. لقد أدّى هؤلاء العباقرة رسالتهم التي كُلِّفوا تبليغها إلى البشريّة، وتحمّلوا أعباء الهداية والإرشاد، والسّير بالإنسانية إلى الفلاح والسّعادة والتّقدّم والرّفاه .. .

وعندما يسبر الإنسان أحوالهم، ويدقّق في الصّفات الحسنة التي يمتلكونها، يجد أنّ هؤلاء العظماء لم ينبغوا إلّا في بعض العلوم، ولم يتحلوا إلّا ببعض السّمات الحميدة.

وقلّ أن يُرى أحداً منهم وقد نبغ في جميع العلوم وأحاط بها إحاطةً مستوعبةً، وتحلّى بكلّ المزايا الحميدة، والأخلاق الفاضلة، ويبرز في رأس قائمة القلّة هذه: رسول الإسلام العظيم، محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وآله- هذا الرّسول الذي ضحّى بكل ما يملك في سبيل إماطة ضباب الجهل والغفلة والرّذيلة عن البشريّة، وجهد طيلة عمره من أجل إنقاذ البشرية من المستنقعات الموبوءة بالرّذيلة والفشل والسّقوط ..

وما أجدر بالإنسان أن يبحث في حياته -صلى الله عليه وآله- الكريمة، ويحاول أن يدرسها دراسة موضوعية، ليتخذه -صلى الله عليه وآله- قدوة في كافّة أعماله، ويجعله -صلى الله عليه وآله- الأسوة الحسنة ..

قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).سورة الأحزاب/ الآية: ٢١.

أعظم شخصيّة في التّاريخ

السيد محمد الحسيني
باحث اسلامي

لم تبرز على طول التاريخ شخصيّة مثل شخصية النّبي محمد -صلى الله عليه وآله-؛ وذلك أولاً لما شرّفه الله -عزّوجل- حيث اختاره من بين الخلق أجمعين وجعله سيّد أنبيائه والمرسلين وأشرف المخلوقين من الأوّلين والآخرين.

وثانياً، لِما قام به النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- من تغييرات جذرية في التاريخ الإنساني، وقد اعتبر أحد الكتّاب الغربيين في كتابه (الخالدون المائة) الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- في المرتبة الأولى من عظماء التّاريخ البشري، كما واعتبره أعظم شخصيّة في تاريخ العالم بما حققه من نجاح عظيم في إبلاغ رسالته وتأسيسه لدولة إسلامية كبيرة، وحضارة عريقة باتت تغذّي العالم بالعلم والمعرفة والعطاء لقرون عديدة، بل وستبقى خالدة إلى يوم يبعثون.

يقول الدّكتور (مايكل هارث) أستاذ الرّياضيّات والفلك والفيزياء في الجامعات الأمريكية وخبير هيئة الفضاء الأمريكية:

«لقد اخترت محمداً أوّل هذه القائمة.. ولابُدّ أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك.. ولكن محمداً هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي.. وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الدّيانات وأصبح قائداً سياسيّاً وعسكريّاً ودينيّاً وبعد ١٣ قرناً من وفاته، فإنّ أثر محمد -صلى الله عليه وآله- ما يزال قوياً متجدداً»(١).

أخلاق رسول الله -صلى الله عليه وآله-

من الأسس التي قامت عليها حركة الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- وانطلقت عبرها نحو النّجاح، هي الأخلاق الرّفيعة التي تمثّلت في شخصيّة رسول الله -صلى الله عليه وآله-، حتى أثنى الله عزّوجلّ على أخلاقه في القرآن الكريم، فقال سبحانه: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**(٢).

وكان -صلى الله عليه وآله- يقول في دعائه: **«أللّهم حسّن خُلقي»**(٣).

ويقول -صلى الله عليه وآله-: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق**»(٤).

فاستجاب الله -تعالى- دعاءه وأنزل عليه القرآن الكريم وأدَّبه به، فكان خُلقه القرآن، كما ورد في الرّوايات(٥).

نعم، إنّه -صلى الله عليه وآله- أُدب بالقرآن وأدّب الخلق به، ومن هنا قال -صلى الله عليه وآله-: «**إنّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٦).

مع ابنة حاتم الطائي

روي عن الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين -عليه السلام- أنّه قال: «**لمّا أتي بسبايا طي وقعت جارية في السَّبي، فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلّي عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإنّي بنت سيّد قومي، وإنّ أبي كان يحمي الذّمار ويفكّ العاني ويشبع الجائع ويطعم الطّعام ويفشي السّلام ولم يردّ طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء.**

فقال النّبي -صلى الله عليه وآله-: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقّاً، لو كان أبوكِ مسلماً لترحّمنا عليه.. خلّوا عنها، فإنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإنّ الله يحب مكارم الأخلاق.

فقام أبو بردة بن دينار فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟

فقال: والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق»(٧).

تواضعه -صلى الله عليه وآله-

ومن سجايا أخلاقه -صلى الله عليه وآله- العظيمة: التّواضع في كل شيء حتى إنّ فراشه كان من أشمال وادي القرى محشواً وبراً، وقيل كان طوله ذراعين أو نحوهما وعرضه ذراع وشبر(٨).

وإنّه -صلى الله عليه وآله- لم ينتقد مضجعاً، إنّ فرشوا له اضطجع، وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض.

وروي عن ابن عباس أنّه قال: (**كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يجلس على**

الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشّاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشّعير(٩).

أخلاق الرسول-صلى الله عليه وآله- في التوراة والإنجيل

وقد وصف الله -تعالى- خاتم أنبيائه محمد -صلى الله عليه وآله- في الكتب السّماوية قبل أن يبعثه، ففي التّوراة في السفر الأول قال: **(أحمد عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة وهجرته طيبة، وملكه بالشام)(١٠).**

وكذلك نعته في الإنجيل، فعن سهل مولى عتيبة: إنّه كان نصرانياً من أهل مريس وكان يقرأ الإنجيل، قال: فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرّت بي ورقة فأنكرت كتابتها حين مرّت بي ومسستها بيدي، قال: فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق بغراء (أي كانت ملصقة بما قبلها بمادّة صمغية) قال: ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد -صلى الله عليه وآله-: **(أنّه لا قصير ولا طويل، أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم، يكثر الإحتباء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشّاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر وهو يفعل ذلك، وهو من ذرّيّة إسماعيل اسمه أحمد)(١١).**

أخلاقه -صلى الله عليه وآله- مع أعدائه

نعم كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- حسن الخلق حتى مع أعدائه، وكم من المشركين والكفّار أسلموا لما رأوه من عظيم خلقه -صلى الله عليه وآله-.

ففي حرب جاء رجل من المشركين حتى قام على رسول الله-صلى الله عليه وآله- بالسّيف، فقال: من يمنعك مني؟

فقال: «الله»، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله-صلى الله عليه وآله- السيف وقال: «من يمنعك مني»؟

فقال: كن خير آخذ.

قال -صلى الله عليه وآله-: «قل: أشهد أن لا إله إلا الله».

فقال الأعرابي: لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فخلّى -صلى الله عليه وآله- سبيله.

فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس(١٢).

مع اليهودية

روى أنس: أنّ يهودية أتت النبي -صلى الله عليه وآله- بشاة مسمومة ليأكل منها فيموت، فجيء بها إلى النبي -صلى الله عليه وآله- فسألها عن ذلك؟

فقالت: أردت لأقتلك.

فقال: «ما كان الله يسلطك على ذاك».

قالوا: ألا تقتلها.

قال -صلى الله عليه وآله-: «لا».

تحمّله -صلى الله عليه وآله- للأذى

وقد آذى المشركون رسول الله -صلى الله عليه وآله- بشتّى أنواع الأذيّة، فقابلهم -صلى الله عليه وآله- بالعطف والحنان، فلم يدعُ عليهم بنزول العذاب، بل أخذ يستغفر لهم ويدعو لهم بالرّحمة ويقول: «**اللهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون**»(١٣).

فإنّ المشركين كانوا يحضّون سفهاءهم لإلقاء التّراب على وجهه ورأسه-صلى الله عليه وآله-. وإنّهم كانوا يطرحون الفرث والدّم والشّوك على بابه وربما على رأسه-صلى الله عليه وآله-.

وإنّ أمية بن خلف تجاوز على النّبي -صلى الله عليه وآله- في وجهه، فاحمرّ وجه رسول الله-صلى الله عليه وآله- ولم يقل شيئاً.

وقد كثر تعدّيهم وإيذائهم لرسول الله -صلى الله عليه وآله- حتى قال -صلى الله عليه وآله-: «**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**»(١٤).

ولكنه -صلى الله عليه وآله- عفا عن جميعهم وصفح، وقال لهم جميعاً حينما دخل مكة

منتصراً: «**اذهبوا فانتم الطّلقاء**»(١٥).

وهل هناك في التاريخ قائد بهذه العظمة وبهذا الخلق السامي غير رسول الله-صلى الله عليه وآله-.

أخلاقه -صلى الله عليه وآله-مع نسائه

المرأة في المجتمع الجاهلي لم يكن لها أي احترام وتقدير، بل كان يُتعامل معها كما يُتعامل مع الدّواب أو أقل شأناً، فلا حقوق للنساء ولا قيمة لهنّ عند الجاهليين.

وخلاصة القول: إنّ كلمة المرأة كانت تعني الذّليلة، الحقيرة، حتى إنّهم كانوا يئدونها وهي حيّة، فقال تعالى:(**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**)(١٦).

في هكذا مجتمع بُعِث رسول الله -صلى الله عليه وآله- فأمر بإكرام المرأة واحترامها، وكان هو -صلى الله عليه وآله-خير أسوة حسنة في ذلك، فكان تعامله -صلى الله عليه وآله- مع نسائه وبناته وغيرهنّ من النّساء في غاية اللطف والمحبة والتقدير، حتى روي عن أنس أنّه قال: «**ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله-صلى الله عليه وآله-**»(١٧).

ولم يحدّثنا التاريخ قط أنّ النبي -صلى الله عليه وآله- ضرب يوماً ما زوجته أو شتمها أو صاح في وجهها مع أنّ بعض أزواج النّبي كُنّ يؤذينه -صلى الله عليه وآله- ولا يراعين الآداب والأخلاق المناسبة مع رسول الله-صلى الله عليه وآله- حتى أنزل قول الله تعالى: (**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ* عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**)(١٨).

فكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يعفو ويصفح ويبتسم ويغضّ الطّرف.

وفي يوم من الأيام جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله- وهي خولة بنت حكيم السلمي -على بعض الرّوايات- ووهبت نفسها للنبي -صلى الله عليه وآله- فقالت عائشة: ما بال النساء يبذلن أنفسهنّ بلا مهر؟

فنزلت الآية المباركة: (**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ...**) (١٩).

فقالت عائشة: ما أرى الله إلا يسارع في هواك!

فقال الرّسول -صلى الله عليه وآله- بكل أخلاق وعفو وصفح: «إنّك إن أطعت الله سارع في هواك»(٢٠). وهكذا في عشرات الموارد التاريخية التي يتجلّى فيها عظيم أخلاقه -صلى الله عليه وآله- مع زوجاته، بل ومع كل امرأة، ويتّضح شديد احترامه للمرأة وتقديره لها.

وببركة رسول الله-صلى الله عليه وآله- أخذت المرأة مكانتها في المجتمع آنذاك، ووصلت إلى ما وصلت إليه من مراحل عالية في مختلف ميادين الحياة مع رعاية الموازين الشّرعيّة. وفي يومنا هذا نرى الغرب قد جعل من المرأة سلعة اقتصادية ودعائية فحسب، فحط من كرامتها وعزّتها، فصارت المرأة تعاني من مشاكل كثيرة لم ترَ مثلها طيلة التاريخ، ولا حلّ لها إلا بالرّجوع إلى التّعاليم الإسلامية التي سنّها رسول الله -صلى الله عليه وآله- بأقواله وأفعاله الحكيمة تجاه المرأة.

أخلاقه -صلى الله عليه وآله- مع أصحابه

كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- في قمّة الأخلاق عندما يتعامل مع أصحابه، فإنّ الإنسان الخلوق مع أعدائه يكون ذا خلق سامٍ مع أصدقائه وأصحابه بطريق أولى.

وقد وصف الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- الرسول -صلى الله عليه وآله- بقوله: «**كان أجود الناس كفّاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه، لم أرَ قبله ولا بعده مثله -صلى الله عليه وآله-**»(٢١).

وينقل الإمام الحسن -عليه السلام- عن الإمام الحسين -صلى الله عليه وآله- في حديث له قال: سألت أبي عن سيرته -صلى الله عليه وآله- في جلسائه فقال-صلى الله عليه وآله-: «**كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخَّاب، ولا فحَّاش، ولا عيَّاب، ولا مدَّاح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه**»(٢٢).

ما روي عنه -صلى الله عليه وآله- في مكارم الأخلاق

وهناك روايات كثيرة وردت عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- في حسن الأخلاق، نكتفي ببيان بعضها رعاية للاختصار: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: «**إنّ الله تعالى حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال**»(٢٣).

وعن معاذ قال: أوصاني رسول الله-صلى الله عليه وآله- فقال: «**وأوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ولين الكلام، وبذل السّلام، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، وحسن العمل، وقصر الأمل، وحبّ الآخرة، والجزع من الحساب، ولزوم الإيمان، والفقه في القرآن، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وإيّاك أن تشتم مسلماً، أو تطيع آثماً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو تكذب صادقاً، أو تصدق كاذباً، واذكر ربّك عند كل شجر وحجر، وأحدث لكل ذنب توبة، السّر بالسّر والعلانية بالعلانية**»(٢٤).

الهوامش:

١- الخالدون مائة/ مايك هارث/ ترجمة أنيس منصور/ المكتب المصري الحديث/ ص١٣.

٢- سورة القلم/ الآية: ٤.

٣- المحجة البيضاء/ المولى محسن الكاشاني/ ج٤/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم

المقدسة/ ط٢/ ١٩٨٣م/ ص١١٩ .

٤- المصدر نفسه/ ج٤/ ص١١٩ .

٥- المصدر نفسه/ ج٤ / ص١٢٠ .

٦- **بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج١٦/ ص٢١٠.**

٧- راجع مستدرك الوسائل/ ميرزا حسين النوري الطبرسي/ تحقيق مؤسسة آل البيت-عليهم السلام- لإحياء التراث/ قم المقدسة/ ج١١ / ص١٩٣-١٩٤.

٨- مكارم الاخلاق/ الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي الطبعة السادسة/ ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م/ ص٣٧.

٩- المجلسي/ المصدر السابق/ ج١٦ / ص٢٢٢.

١٠- الخرائج والجرائح / قطب الدين الراوندي/ المتوفي سنة ٥٧٣ هجرية / تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي عليه السلام قم/ الطبعة : الاولى / المطبعة العلمية/ ١٤٠٩ هـ/ ج١/ ص٧٩.

١١- المجلسي/ المصدر السابق/ / ج ٢٠ / ص ١٧٥ .

١٢- المصدر نفسه/ ج ١٨ / ص ٤٧ .

١٣- المصدر نفسه/ ج ١١ / ص ٢٩٨.

١٤- المصدر نفسه/ ج ٣٩/ ص ٥٦ .

١٥- المناقب: ج١ ص٢٠٩.

١٦- سورة التكوير/ الآيات: ٨-٩.

١٧- ذخير العقبى في مناقب ذوي القربى/ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري/ تحقيق وتعليق: أكرم البوشي/ ط١/ مكتبة القدسي/ القاهرة/ ١٣٥٦هـ/ ص١٥٤.

١٨- سورة التحريم/ الآيات: ٣-٥.

١٩- سورة الأحزاب/ الآية: ٥٠.

٢٠- المجلسي/ المصدر السابق/ ج٢٢ / ص١٨١.

٢١- الطبرسي/ المصدر السابق/ الآية: ص١٨ .

٢٢- عيون أخبار الرضا-عليه السلام-/ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمي/ المتوفى سنة ٣٨١هـ/ صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الاعلمي /ج ١/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان / الطبعة: الأولى/ ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م/ /ج٢/ ٢٣٦.

٢٣- راجع العلامة المجلسي/ المصدر السابق/ ج١٦ / ص١٠٩.

٢٤-بالمصدر نفسه / ج ٧٤/ ص ١٢٧.

كيف نجح الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- في تغيير الآخرين

مصطفى أحمد
باحث اسلامي

لماذا فشل الكثير من الحركات الإسلامية والدعاة في مهمّة تغيير الآخرين نحو الحق والعدل ؟

هل لضعف في البرامج التّربوية وقصورها ؟

هل الوسائل المستخدمة ما زالت متخلفة؟

هل التّطبيقات العملية ما زالت مهملة والتّركيز ينحصر في الموضوعات النّظرية؟

قد يكون الأمر يتعلق نسبياً بكل هذه الأسباب.. ولكن السّبب الرئيس (في نظرنا) هو غياب المربّي الذي يزرع الحب قبل الدرس، .. وبكلمة أخرى عدم التأسي بشخصية النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- التّربوية .

إنّ استعراض حياة الرّسول محمد-صلى الله عليه وآله- العملية، ودراسة طرائقه التّربويّة، التي غيّر بها سلوك المجتمع.. فنقلهم من ظلمات الجهل إلى أنوار المعرفة، ومن خشن الطّباع إلى الأدب الرّفيع.. ومن الأنانية الطاغية إلى الإنسانية الرّحيمة، ومن جبروت القبلية والعصبية العمياء إلى الأخوة الغامرة في الله.. ومن ضياع الحاضر إلى بناء الحاضر والمستقبل.. هذا الاستعراض يؤكد لنا أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- هو المربّي العظيم لكل الأجيال .. وسنحاول هنا.. أن نتبين بعض ملامح شخصيته -صلى الله عليه وآله- التّربويّة:

١- الحث على طلب العلم والمعرفة:

قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**)(١).

فقد علّمهم وزكّاهم.. وأمرهم بأن يشيْعوا العلم والحكمة بينهم..

والعلم المطلوب هو كل علم نافع في أمور الدّنيا والدّين، يبني الفرد ويبني المجتمع ويفيد الإنسانية.. أمّا العلم الذي لا ينفع فقد حذّرنا منه المُعلّم الأوّل -صلى الله عليه وآله- فقال: "اللّهمّ إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع".

٢- الرأفة والرحمة:

والعلم لن يتعدى الشّفاه.. ما لم تقم علاقة محبّة ورحمة بين المعلم والمتعلم. لقد كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- من الرأفة والرّحمة، وترك العنت وحب اليسر، والرّفق بالمتعلم، والحرص عليه، وبذل العلم والخير له في كل وقت ومناسبة: بالمكان الأسمى والخُلق الأعلى قال -تعالى-: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)**(٢).

لقد كانت الرّحمة عنده -صلى الله عليه وآله- تعالياً وسلوكاً...

والمربي المحروم من الرّحمة، الغليظ القلب، لا ينجح في عمله، ولا يُقبل الناس عليه. قال تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)**(٣).

٣- المداراة، وعدم العنف:

لم يستخدم -صلى الله عليه وآله- العنف والفظاظة وهو يواجه المواقف الصّعبة. أخذ الناس بالرّفق واللّين فهما الطريق الأقرب إلى القلوب. قال -تعالى-: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)**(٤).

وهذه آية شاملة لأهم الخصائص النّفسية في شخصية المربي مثل:

- الرّحمة الواعية بدل الشّدّة أو الغلظة التي تحطّم العلاقات السّويّة الإيجابيّة... فعلى العلاقات المتبادلة أن تظل قوية.. وقوتها إنّما تفد من العفو والسّماح.

- ثمّ لابُدّ من إشعار المتعلم بكرامته وشخصيته وأهمّيّته **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ)**، لأنّ المرء لا يتعلم إلا إذا أحب معلّمه، وعلاقات المحبة إنّما تنمو سعيدة بالاحترام المتبادل.

لقد وضّح لنا ربّنا - عزّوجلّ - كيف نرفق بالناس رغم إيذائهم، قال تعالى: **(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)**

(٥)، وأنّ ذلك من عزم الأمور، قال -تعالى-: (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)(٦).

٤- إعطاء الحق:

وهذه ميزة عظيمة كان يتمتع بها رسول الله -صلى الله عليه وآله-.. فلم يكن أحدٌ من أصحابه يشعر بأنّ غيره أقرب إلى قلب النبي-صلى الله عليه وآله- منه.

- روى أمير المؤمنين علي -عليه السلام- في وصفه لمجلس رسول الله -صلى الله عليه وآله-، قال: **"كان يعطي كلّ جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسُه أنّ أحداً أكرم عليه منه"**.

٥- الاستماع والتواضع للآخرين:

الاستماع الجيِّد ضرورة لاستيعاب الأمر.. وبدونه لا يمكن اتّخاذ القرار الصائب.. ونصف الكلام لا جواب له. ومن حسن الاستماع:

- التفرغ لمحدّثك فلا تنشغل عنه بقضية أخرى. الأمر الذي يساعدك على فهم عبارة محدثك وملاحظة إشارته وصوته ووجهه، وكلّها ضرورية لفهم الحديث.

- التّركيز على صلب الموضوع والابتعاد عن الأمور الهامشيّة.

- الابتعاد عن سرعة الاستنتاج أو اتّخاذ أحكام متسرّعة بحق السّائل.

٦- بلاغة الكلام:

- وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يفتتح الكلام ويختتمه باسم الله -تعالى-، ويتكلّم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير.

بهذا الصوت الأليف والنّبرة الحانية الوادعة.. والهدوء في تناول الأمور.. كان -صلى الله عليه وآله- يفتح القلوب لتلقّي الموعظة.

٧- الأسلوب الناجح:

التّربية الناجحة هي التي تُراعي حالة المتعلم الجسمية، واستعداده النّفسي والعقلي للفهم والاستيعاب والتنفيذ أثناء عملية التّعليم.

فمن أتى بطالب ناشئ في روضة الأطفال، أو المدرسة الابتدائية وألقى عليه محاضرة جامعية كان جهده ضائعاً...

كان النّبي -صلى الله عليه وآله- يختار الأسلوب الأنسب لنفسيّة المُتعلم.. ويختار الوقت المناسب الذي يراعي حالة المتعلّم الجسمية والإدراكية والنّفسية والصّحية أثناء العملية التّربوية.

٨- رعايته الفروق الفردية:

لقد كان المعلّم الأوّل -صلى الله عليه وآله- شديد المراعاة للفروق الفردية والنّفسيّة بين المتعلّمين من المخاطبين والسّائلين، فكان يخاطب كلّ واحد بقدر فهمه وبما يلائم منزلته، وكان يحافظ على قلوب المبتدئين، فلا يعلّمهم ما يعلّم المنتهين. وكان يجيب كل سائل عن سؤاله بما يهمه ويناسب حاله.

وللنّظر في هذه المواقف التّربوية.. وكيف كان النّبي -صلى الله عليه وآله- يوجّه أصحابه كلّاً حسب قدرته على الاستيعاب، وحاجته.

٩- التدرج في عملية التعليم:

كان المعلّم الأوّل يراعي التّدرّج في التّعليم، يقدّم الأهم فالمهم، ويعلم شيئاً فشيئاً نجماً نجماً، ليكون أقرب تناولاً، وأثبت على الفؤاد حفظاً وفهماً.

ورد عن النّبي -صلى الله عليه وآله- أنه لما بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: "إنّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم، فإنّه ليس

بينها وبين الله حجاب".

١٠- مقابلة الإساءة بالإحسان:

إنّ العلاقات المحبّبة النّشيطة، ينبغي أن تكون ركناً أساسيّاً في تكوين كل شخصيّة إنسانيّة كريمة.. لتعيش سعيدة في ذاتها، ولتنشر السّعادة فيمن حولها.. بيد أنّ هذا السلوك أشد وجوباً وإلحاحاً في شخصية كل من له سلطان تربوي نفسي، أو سلطان تعليمي توجيهي، أو سلطان إداري إشرافي.. فسلامة الصدر، وكبر القلب، وهدوء النّفس.. كل ذلك عوامل عاطفية عقلية هي أساسية في نجاح تلك العلاقات الإنسانية.

دعونا نعش قليلاً في أحد المواقف التّربوية النّفسيّة الرّائعة التي نجدها ماثلة في حياة الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله-، لتكون مثلاً أعلى لكل مربّ أو معلم.

ذاك أعرابي.. عاش في البادية، وقد أتى أوّل مرّة إلى المدينة، فيفد إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله- يطلب شيئاً من الصّدقة، فيعطيه النّبي -صلى الله عليه وآله- ما كان لديه حاضراً، ثمّ يسأل الأعرابي: "أأحسنت إليك".. قال الأعرابي منكراً بقسوة: (لا، ولا أجملت).. سمع ذلك من كان حاضراً من الصّحابة، فغضبوا من هذه الرّد السّيِّئ يُقابل به الرّسول الكريم، ولكنّه أشار إليهم فوراً، أن كفّوا عنه.. وقام -صلى الله عليه وآله- فدخل منزله وأتى بما يُنعم به على الأعرابي ثمّ أرسل إليه وزاده.. وهنا يسأله رسول الله -صلى الله عليه وآله- "أأحسنت إليك"؟!

قال الأعرابي: نعم أحسنت وأجملت.. وجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

إنّه أعرابي يمثّل صفاء البادية وتلقائيتها، كل ما فيها ظاهر وصريح، وقاس ومباشر. ولكنه الرسول المربّي، وهو يعلّم هذه النّفسية، عَامَلَها بما يلائمها، قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً..

والختام التربوي الهام للحادثة: كان تحليلاً لنفسية الأفراد ولا سيما في عمليتي التّربية والإدارة. إذ أنّ حسن المعاملة، وردّ الإساءة بالإحسان يضفي حسن السّلوك، إن عاجلاً

أم آجلاً، ويضفي السّعادة النفسية فوراً.

الهوامش:

١- سورة الجمعة/ الآية: ٢ .

٢- سورة التوبة/ الآية: ١٢٨ .

٣- سورة آل عمران/ الآية: ١٥٩ .

٤- سورة آل عمران/ الآية: ١٥٩ .

٥- سورة آل عمران/ الآية: ١٣٤.

٦- سورة فصلت/ الآية: ٣٤-٣٥.

الصادق
عليه السلام

الإمام الصادق -عليه السلام- في مواجهة الإنحراف

أماني ناصر/كاتبة

اتخذ الإمام الصّادق -عليه السلام- خطوات هامّة ليحول دون انحراف الشّيعة وسقوطها، وتمثّلت الخُطوة الأولى في منع تلامذته وأتباعه من المغالاة في حقّ الأئمة -عليهم السلام-. وفكرة التّأليه أو المغالاة في حقّ الإمام تسرّبت إلى المجتمع من وقت سابق على عهد الصادق -عليه السلام-. وكان الإمام جعفر الصادق -عليه السلام- يدحض هذه الفكرة ويعارضها منذ ما بدأ بالإفادة والتّدريس، وكفّر القائلين بها مؤكّداً **(إنّ جدّي وآبائي خلقوا كغيرهم من الناس، وأنّ القرآن الكريم يقول عن رسوله: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)**. وكان الصّادق -عليه السلام- يرى بأنّ هذه العقيدة خطيرة، وأنّها تُعارض فكرة التّوحيد في الإسلام، وأنّها ستقضي في آخر الأمر إلى انقسام الشّيعة على نفسها وضعفها وزوالها. ولعلّه كان يعرف ما أصاب المسيحيّة من شقاق وفتن بسبب فكرة تأليه المسيح، وأنّها انقسمت على نفسها وأصبحت عشرين مذهباً أو كنيسة، وكانت ظاهرة الخلاف قد دبت بين الأساقفة بسبب اختلاف القول والرّأي في مدى مرتبة الألوهية عند السّيّد المسيح -عليه السلام-.

كان الإمام الصّادق -عليه السلام- علّامة عصره وخبير دهره، وكان على إلمام تامّ بالإضافة إلى العلوم التي تداولت في مدرسته، بتاريخ الطوائف ومبادئها ومواطن الخلاف بين أتباعها، واليوم، وفي عصرنا هذا، لا يسع أحداً بمفرده الوقوف على تاريخ جميع المذاهب، فهي كعلم الطّب الذي توسّع وتشعّب حتى لم يعد في وسع طبيب واحد أن يلم في عصره بجميع شعب الطب ويتخصّص فيها. ولكن يبدو في عصر الإمام الصادق -عليه السلام- أنّ الاضطلاع بمعرفة تاريخ الطوائف كان أيسر، لأنّها لم تكن قد تفرّقت وتشعّبت بصورتها الحاليّة، ومن هنا اجتهد في منع الشّيعة من التّورّط فيما تورّطت فيه المسيحية من حيث مغالاتها في خصوص المسيح حتى لا تقع فريسة لانقسامات خطيرة تنتهي بالقضاء عليها في آخر الأمر. فوقف بجدٍّ وحزم، وتصدّى لمن كان يُغالي في حق الإمام أو الرّسول -صلوات الله عليهما-، ونفى نفياً باتّاً أن يكون

في الرسول -صلى الله عليه وآله- أو الإمام عنصر إلهي، وكان يقول أنّ الرّسول والأئمة من ولد بشر مثل غيرهم، وإنّما الرسول -صلى الله عليه وآله- يتميّز عن الخلق بأنّ الله -سبحانه- اختاره ليكون حاملاً للوحي ومبلّغاً للرسالة، والأئمة أوصياؤه، وهم عباد الله مخلصون، ومن قال بوجود عنصر إلهي في الرسول -صلى الله عليه وآله- أو الأئمة واعتقد بذلك، فكأنّه قد أشرك مع الله إلهاً آخر، فهو مشرك ونجس، فإن كان كلامه هذا هو اعتقاد وإيمان بذلك، وجب نهيه وردعه حتى لا ينحرف أحد أو يقع خلاف بين المسلمين.

النّهي عن المجابهة والخلاف والعزلة عن النّاس

إنّ أمراً آخر أيضاً دفع بالإمام الصادق -عليه السلام- إلى اتّخاذ موقف واضح حازم للحيلولة دون سقوط الشّيعة وزوالها، ألا وهو موضوع العزلة عن المجتمع أو حياة الرّهبانيّة، وقد ظهر لدى المسلمين منذ القرن الثاني الهجري ميل إلى الاعتكاف عن الدّنيا والزّهد في ملذّاتها، وظهرت فرق كثيرة عند المسلمين يدعو بعضها إلى الرّهبانيّة، وترك الدّنيا، وكانوا يختلفون حول ما الذي يتعيّن على العارف أو الزّاهد أن يفعله، فمنهم من قال أنّ الصلاة هي أفضل عبادة للمعتكف، ومنهم من قال بالصّوم لما فيه من حرمان النّفس عمّا تشتهيه، ومنهم من رأى للمعتكف أو المتعبّد أن يفكّر في الله- تعالى-، ومنهم من قال (الذِّكر) أي أن يذكر الله -تعالى-. ولم تهتمّ الفرق الصّوفية التي حبّذت الاعتكاف والزّهد بأمور المعيشة الخاصّة بأتباعها. وكان موقف الإمام الصّادق -عليه السلام- من هذه الظّاهرة واضحاً وحازماً، إذ نهى عن العزلة وترك الحياة الاجتماعية نهياً باتاً، كما نهى كذلك عن تأليه الرّسول -صلى الله عليه وآله- أو الأئمة -عليه السلام- أو الشّطط في تقديرهم. وكان بنو أميّة ومن بعدهم العبّاسيون يتطيّرون من حركات الشّيعة وتطلّعاتهم، فجنحت الدّولة إلى تحبيذ انزوائهم واعتكافهم اعتقاداً منها بأنّ انطواءهم على ذواتهم يمنع الناس من الاتصال بهم، فيخفت صوتهم وتنسى

دعوتهم.

وكان الإمام الصّادق -عليه السلام- يرى هذه المخاطر جميعاً، بل لقد رأى بنفسه كيف عاداه الأمويون هم والعباسيون من بعدهم الذين ساروا على نفس النّهج بل أشده وكان يردد: لا رهبانية في الإسلام. وهو نفسه كان يعمل في مزرعة له بالمدينة وكان جاهداً في منع هذا التّيّار تفادياً لانهيار الشّيعة وزوالها.

ومن العادات الأخرى التي انتقلت إلى المسلمين الرّهبانيّة والنّسك، أي اعتزال الدّنيا بعيداً عن الجماعة والأسرة، وذهب بعض المسلمين إلى حدّ الامتناع عن الزّواج وعن الملذّات المشروعة اقتداءً بالرّهبان، قائلين إنّ هذا ادّعى إلى التّزكية وطاعة الله، وظهرت هذه العادة عند بعض الزّهّاد والمنشقّين من المسلمين، فنهاهم الإمام جعفر الصادق -عليه السلام- عنها، وأمر أتباعه وتلامذته باتّباع السّنّة الإسلامية في الزّواج، قائلاً إنّ الامتناع عن الزّواج ينافي سنّة الله-تعالى- التي خلق الناس عليها، كما أنّه يضرّ بالمسلم معنويّاً وجسديّاً، ثم إنّ العزلة والزّهد في حياة الجماعة تنتهي بإقلال عدد المسلمين، في حين أنّ الكفّار يتزايد عددهم يوماً بعد يوم بسبب تزاوجهم، فعلى المسلم أن يتزوّج، وأن يستزيد من الأولاد ليكثر عدد المسلمين، ونهى الصادق -عليه السلام- عن العزلة والزّهد، فكان مصير هذه العادة الزّوال بعدما شاع أمرها بين المسلمين، وإن كانت قد عاودت الظهور في القرنين الثّالث والرّابع الهجريين عند بعض العرفاء والصوفية، وأسماء المرموقين منهم معروفة مشهورة. وإلى القرن التاسع عشر الميلادي لم يكن أحد يعرف الحكمة الصّحّيّة الكامنة وراء نهي الإمام الصادق -عليه السلام- عن العزلة والزّهد، إذ كان الاعتقاد السّائد في ذلك الوقت أنّ النّهي مقصود لدفع الأضرار المعنوية للعزلة، أو لأنّها تُخالف الشّريعة الإسلامية، أمّا الجانب الصّحّي لنهي الإمام فقد كان خافياً، حتى أثبت الطّب الحديث في القرن التّاسع عشر أنّ الامتناع عن الزّواج يؤدّي إلى خلل شديد في الجهاز العصبي للإنسان رجلاً كان أو امرأة، كما يسبب مضاعفات أخرى في الغدد الدّاخليّة وفي وظائف الجوارح والأعضاء.

الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- شخصية عالمية

الشيخ عباس الخفاجي
خطيب حسيني

مع إطلالة الصّباح من اليوم السابع عشر من ربيع الأول وُلِدَ الرسول الأعظم محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب -صلى الله عليه وآله- لينقذ البشرية من الظّلمات، ويوصلهم إلى شاطئ النّور والسّعادة، ويحلّق بهم في سماء العلم والفضيلة، ويرسي سُفُن حياتهم على شاطئ الأمن والاستقرار والسّعادة ..

قال الله تعالى في وصف الرّسول -صلى الله عليه وآله-:

(وَيُحِلّ لَهُمُ الطّيّبَاتِ وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)(١).

وعندما بزغ فجر الرّسول العظيم -صلى الله عليه وآله- على الأفق بدت حوادث خارقة، منها:

أولاً: انخمدت (انطفأت) نيران فارس.

ثانياً: غاصت بحيرة ساوة في إيران.

ثالثاً: سقطت شرفات من قصر ملك الفرس.

رابعاً: نكست الأصنام.

خامساً: شع من محيّا النبي -صلى الله عليه وآله- نور أضيئت به بيوتات مكة ..

وشبّ النبي -صلى الله عليه وآله- في بيت محافظ، وكان -صلى الله عليه وآله- يتمتّع بحسن الخلق، وطيب السّريرة، وسائر الصّفات الحسنة، فنشأ نشأةً صالحةً، قاد عبرها ملايين الأجيال وألوف الفئات.

ولقد كان الرّسول -صلى الله عليه وآله- منذ نعومة أظفاره، وفي عنفوان شبابه، يهوى الأخلاق الفاضلة، ويحبّ الصّفات الحميدة.

وكان -صلى الله عليه وآله- معروفاً في قومه بـ (الصدق) و(أداء الأمانة) ..

ومضت عليه -صلى الله عليه وآله- أربعون سنة وهو المثل الأعلى في هاتين الخصلتين، حتّى أنّ رجال قومه عندما كانوا يقصدون الخروج من مكة، كانوا يودعون أموالهم لدى

النبي -صلى الله عليه وآله-، دون سائر رجال عشيرتهم ..

كان الرّسول الكريم -صلى الله عليه وآله- يذهب إلى غار حراء ويعبد الله سبحانه وتعالى فيه، ويفكر في قومه الذين حادوا عن صراط الحق، وزاغوا عن سنن العدالة، ويفكر ـ أيضاً ـ في كيفية هدايتهم؟ ..

وفي ذات يوم وبينما كان الرّسول -صلى الله عليه وآله- سارحاً بفكره وتأمّله .. رأى أنّ أبواب السّماء انفتحت وهبط جبرائيل -عليه السلام- قائلاً له:

اقرأ يا محمد!

وجاء الجواب من النّبي -صلى الله عليه وآله-: وما أقرأ؟ ..

فقال جبرائيل -عليه السلام-: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)**(٢)، الآيات..

وانطلقت الرّسالة المحمّدية من غار حراء .

وهبط الرّسول الكريم -صلى الله عليه وآله- من الجبل، قاصداً قومه، ليبلّغهم رسالة ربّه، ويبشّرهم بالدّين الجديد، فاعتلى الجبل، منادياً بقريش:

(إنّ الرائد لا يكذب أهله، أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم تصدقونني)؟ ..

وجاء الجواب -وبصوت واحد-:

نعم .. نعم .. ما جربنا عليك كذباً.

وعند ذاك أعلن -صلى الله عليه وآله- رسالته السماوية .. وطلب منهم أن يؤمنوا به، ويؤازروه على نشر رسالته..

ولكنّهم استهزءوا به .. ولم يؤمن به إلاّ نفر قليل .. أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- .. ثم السيدة خديجة -عليها السلام-، ثم جمع آخر من

الناس ..

والسؤال الآن هو:

هل تركت قريش النبي محمد -صلى الله عليه وآله- ليبلّغ رسالة ربّه؟ وليدعو الناس إلى اعتناق هذا الدّين السماوي الجديد والتّشبث به؟!

الجواب:

إنّ قريشاً لم تمتنع فقط عن قبول دعوة الرّسول -صلى الله عليه وآله-، وإنّما انتهجت معها مسلكاً مضادّاً، فآذت النبي -صلى الله عليه وآله-، وأجبرته على الهجرة، وضربت عليه الحصار الاجتماعي والاقتصادي و .. و.. و .. وقابلت أصحابه بالكبت والاضطهاد ..

فهذا (عمّار بن ياسر) كم عذّبوه ونكّلوا به ..

وهذا أبوه (ياسر) .. وهذه أمّه (سُميّة)، كم عذّبوهما، وكيف قتلوهما شرّ قتلة..

وهذا (بلال) كم عذبوه وضربوه ؟؟.

ولكن الرّسول -صلى الله عليه وآله- بقي صامداً أمام اعتداءات المشركين، وظلّ صابراً تجاه تحرّشاتهم ومناوشاتهم حتى جاء الفتح، وأسلم المشركون، وجاء نصر الله تعالى.

قال الله عزّوجل:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً)(٣).

وهكذا ..

ظل فجر الإسلام .. يتوسّع .. وينتشر .. ويكشف نقاب الجهل والرّذيلة عن وجه البشرية ..

القرآن.. المعجزة الخالدة

عندما يرسل الله -عزّ اسمه- نبيّاً من أنبيائه -عليهم السلام-، يزوّده بالمعجزة، لتثبت رسالته أولاً.. وتثبت كذب غير النبي الذي يدّعي الرّسالة زوراً ..

فما هي معجزة نبي الإسلام محمد -صلى الله عليه وآله-، وما هو البرهان الذي يشير إلى نبوّته؟ ..

الواقع هو ..

إنّ النبي -صلى الله عليه وآله- له معاجز كثيرة ومتنوعة، وهي قسمان:

١) المعاجز التي اختصت بمن عاصر الرّسول -صلى الله عليه وآله-.

٢) المعاجز التي تعمّ المعاصرين وغيرهم.

ويتشكل القسم الأول من أمثال، تكلّم الحصى على يد النّبي محمد -صلى الله عليه وآله-، ونبع الماء من كفّه، وما شابههما مما حفظها التأريخ.

ويتشكل القسم الثاني من (لقرآن المجيد) المعجزة الخالدة على مرّ العصور والأزمنة ..

وقد يتساءل بعض الناس قائلين:

ما هي المعاجز التي احتوى عليها القرآن الكريم؟ ..

والجواب .. الإعجاز في القرآن الكريم كثير فمرة الإعجاز في صياغته وبيانه وأسلوبه وأخرى لإخباره بالغيبيّات والعلميات، وبالرغم من أنّ القرآن الحكيم ليس كتاب الاكتشافات والفلكيّات .. إلّا أنّه قد حوى ذلك في كثير من الآيات، وهذه هي بعض ما في القرآن الحكيم مما أثبته العلم الحديث ..

يقول القرآن الحكيم: **(وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)**(٤).

يقول علماء الجغرافيا: إنّ الأرض كانت في بدء خلقتها متمركزة، ثم انتشرت وتوسّعت على مرور الزّمن.

فلقد كانت دائرة المادة بمقدار ألف مليون سنة ضوئية (٥) وهي الآن أصبحت أكبر

من ذلك بمقدار عشرة أضعاف ..

يقول القرآن الحكيم: (وَأَلْقَىَ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ)(٦).

قوله: (أن تميد) أي لئلا تميد.

تتفق نظرية العلماء ـ اليوم ـ على أنّ المادة الخفيفة وزناً ارتفعت على سطح الأرض وهي الجبال، وبقيت المادة الثقيلة تحت الأرض، ولولا ذلك لمادت الأرض بأهلها .. وهكذا استطاع الانخفاض والارتفاع أن يحافظ على توازن الأرض.

يقول القرآن الكريم: (حَرّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ)(٧).

تبين هذه الآية الكريمة عن الخباثة القابعة في (الدم) و(الميتة) و(لحم الخنزير).

فلحم الخنزير يحتوي على ٩٠٪ من (حامض البوليك) وهي مادة سامّة تضرّ بالصّحّة لو استعملها الإنسان وأكلها .. وكذلك (الميتة) و(الدم) فإنّهما أيضاً يحتويان على هذه المادّة الخطيرة ..

هذا .. وإنّ في القرآن الحكيم آيات كثيرة جداً فيها من الأشياء مما لم يعرفها الإنسان إلّا في النّصف الأخير من القرن العشرين.

ويكفي مطالعة كتاب (التّكامل في الإسلام)(٨) و(الإسلام يتحدّى) وغيرهما للكشف عن هذه الحقيقة..

شهادات علماء الغرب (٩)

وفي الختام ..

نعرض بعض شهادات العلماء الغربيين حول الإسلام، وحول القرآن الكريم، وحول الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- .. لنعرف أنّ الإسلام أفضل من جميع الأديان وأحسنها وأجدرها بالإتباع ..

يقول الفيلسوف (كيرللس الأول):

"إنّ في الشّرق قانوناً، قد نظمه وأسسه الفيلسوف العربي (محمد)، لو أنّ العالم

بجميع عناصره اتّبع نهج هذا الفيلسوف العربي والتزموا جمعاً بقانونه، لم يك في العالم كله دولتان، بل دولة واحدة، ولم يختلف اثنان، ولم يفتقر أحد إلى أحد ..".

ويقول الدكتور المؤرخ (ريتسين):

"دين محمد قد أكّد ـ من الساعة الأولى لظهوره في حياة النبي ـ أنّه دين عامّ، فإذا كان صالحاً لكلّ جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل، ولكل درجة من درجات الحضارة".

ويقول الدكتور (جرينة) الفرنسي عضو مجلس النّوّاب:

"تتبّعت كل الآيات القرآنية، التي لها ارتباط بالعلوم الطّبيعيّة والصّحّيّة والطّبّية التي درستها من صغري، وفهمتها فهما جيّداً، فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت، لأنّي تيقّنت أنّ محمداً أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من غير أن يكون له معلّم أو مدرّس من البشر، ولو أنّ صاحب كل فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات المرتبطة بما يعلمه جيّداً كما قارنت أنا، لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض".

ويقول البروفسور (بورسورت سميث):

"عندما ألقى نظرة إجمالية، استعرض فيها صفاته ـ محمد ـ وبطولاته .. وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا، أجده أقدس الناس وأعلاهم مرتبة، حتى إنّ الإنسانية لم تشهد له مثيلاً ..".

ويقول (برنارد شو):

"إنّه لو تولّى العالم الأوروبي رجل كمحمد، لشفاه من علله كافة، بل يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية، إنّي أعتقد أنّ الدّيانة المحمّدية هي الدّيانة الوحيدة التي تكون حائزة لجميع مرافق الحياة، لقد تنبأت بأنّ دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً، وقد بدى يكون مقبولاً لديها اليوم، ما أحوج العالم إلى رجل كمحمد يحل مشاكل العالم ..".

ويقول المستشرق (ليتسن):

"إنّي لأجرؤ بكل أدب أن أقول: إنّ الله الذي هو مصدر الخير والبركات كلها، لو كان يوحي إلى عباده فدين محمد هو دين الوحي، ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والاعتقاد الرّاسخ القوي، ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل هي الشّاهدة على الإلهام، فرسالة محمد هي هذا الإلهام ..".

ويقول (شيرل) عميد كلية الحقول بجامعة فينا:

"إنّ البشرية تفتخر بانتسابها إلى رجل كبير كمحمد، إذ إنّه استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيون أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمّته .. بعد ألفي عام ..".

فمتى نعود إلى تطبيق الإسلام؟ ..

وفي أي وقت نرجع إلى مجدنا العريق وعزّنا الأصيل؟ ..

حتى ترجع إلينا السعادة والرفاه.

نرجو أن يكون ذلك قريباً.

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(١٠).

الهوامش:

١. سورة الأعراف/ الآية: ١٥٧.

٢. سورة العلق/ الآية: ١ـ٥.

٣. سورة النصر/ الآية: ١ ـ٣.

٤. سورة النازعات/ الآية: ٣٠.

٥. السنة الضوئية هي عبارة عن: المسافة التي يقطعها الضوء في سنة زمنية كاملة والتي تعادل تسعة آلاف وأربعمائة وثمان وستين (٩٤٦٨) مليار كيلومتر.

٦. سورة لقمان/ الآية: ١٠.

٧. سورة البقرة/ الآية: ١٧٣.

٨. للأستاذ أحمد أمين الكاظمي: (١٣٢٤ ـ ١٣٩٠هـ) ولد في الكاظمية المقدّسة ثم انتقل إلى النجف الأشرف ودرس عند علمائها ومنهم الشيخ محمد جواد البلاغي والشيخ نعمة الله الدامغاني، ودرس الدراسة الأكاديمية في جامعات تركيا وفرنسا في العلوم الرياضية، من مؤلفاته (التكامل في الإسلام).

٩. للمزيد مراجعة المصادر التالية: -

- مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: مكارم الغمري. عالم المعرفة(الكويت) العدد ١٥٥ نوفمبر ١٩٩١.

- الإسلام والمسيحية: أليسكي جورافسكي. ترجمة خلف الجراد. عالم المعرفة (الكويت)العدد ٢١٥. نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٩٦.

- الأبطال: توماس كارلايل. ترجمة محمد السباعي. كتاب الهلال. القاهرة. العدد ٣٢٦ صفر ١٣٩٨ فبراير ١٩٧٨.

١٠. سورة الصافات/ الآية: ١٨٠ ـ ١٨٢.

رسول الله
محمد

الشورى والاستشارة في حياة الرّسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله-

السيد مجتبى الصافي
باحث اسلامي

كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يؤكّد على مبدأ الاستشارة في الأمور، وعدم الاستبداد في الرّأي، كما نصّ على ذلك القرآن الكريم، حيث قال تعالى: **(وَأَمْرُهُمْ شُورَىَ بَيْنَهُمْ)**(١)، **وقال عزّوجلّ: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)**(٢).

فإنّ الأمور تكون بالشّورى إلّا فيما ورد فيه النّص عن الله -عزّوجلّ- أو المعصوم -عليه السلام-، حيث لا يجوز الاجتهاد في قبال النّص.

وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يطبّق الاستشارة بنفسه، كما استشار في قصّة الخندق، وحرب أحد، وغزوة الخندق، وحتى في اللّحظات الأخيرة من حياته عندما نزل عليه ملك الموت ...

في غزوة بدر

في غزوة بدر الكبرى نزل رسول الله -صلى الله عليه وآله- بأصحابه في منطقة (ذفران)، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا قوافلهم، ونزل عليه جبرئيل فأخبره بأنّ القافلة قد أفلتت، وأنّ قريشاً قد أقبلت لقتاله. فاستشار النبي -صلى الله عليه وآله- أصحابه في ذلك وأخبرهم عن قريش وخروجهم إليهم. فقام المقداد بن الأسود وقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)(٣)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد -وهو موضع باليمن- لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك. فقال له رسول الله -صلى الله عليه وآله- خيراً ودعا له بخير، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: **(أشيروا عليَّ أيّها الناس)**. وإنّما يريد الأنصار، ثم أعادها ثانية وثالثة، ففهمت الأنصار أنّه يعنيهم، فقام سعد بن معاذ الأنصاري وقال: لكأنّك يا رسول الله تريدنا؟. فقال النبي -صلى الله عليه وآله-: (أجل). فقال سعد: بأبي

أنت وأمي يا رسول الله، إنّا قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق من عند الله، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السّمع والطّاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، إنّا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منّا ما تقر به عينك، فَسِر على بركة الله وصل من شئت واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا مما تركت. فَسُرّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- بقول سعد وشكره والأنصار على ذلك.

ثم قال -صلى الله عليه وآله-:(سيروا على بركة الله وأبشروا فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم)، ثم ارتحل -صلى الله عليه وآله- بهم ونزل قريباً من بدر(٤).

وورد أيضاً: ثم سار رسول الله -صلى الله عليه وآله- حتى نزل مياه بدر ـ وكانت منطقة بدر واسعة ـ جنوبها العدوة القصوى، وشمالها العدوة الدنيا، وفيها عدّة آبار وعيون للماء تنزل فيها القوافل. فسبق رسول الله -صلى الله عليه وآله- قريشاً إلى بدر، ومنع قريشاً من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه المسلمين إلا ما لبد لهم دهس الوادي وأعانهم. ولما نزل -صلى الله عليه وآله- مياه بدر مما يلي المدينة أتاه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل هو منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي في الحرب؟. فقال -صلى الله عليه وآله- في جوابه: (بل هو الرأي). فقال: يا رسول الله -صلى الله عليه وآله-، إنّ هذا ليس بمنزل فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه فيكون الماء في متناولنا فنشرب ونروى. فاستحسن رسول الله -صلى الله عليه وآله- هذا الرأي وفعله، فكان سبباً من أسباب تفوقهم على المشركين(٥).

في غزوة أحد

ولما علم رسول الله -صلى الله عليه وآله- بأنّ قريش قد اجتمعت لحربه في غزوة أحد، جمع أصحابه يستشيرهم في مواجهة المشركين، فقال -صلى الله عليه وآله-: (أشيروا عليّ)، ورأى على رواية - أن لا يخرج من المدينة. فقال بعضهم: يا رسول الله، إنّ مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط، وما خرجنا إلى عدو منها قط إلّا أصاب منا، وما دخل علينا قط إلّا أصبناهم، يعني بذلك: عدم الخروج من المدينة. وقال بعضهم: يا رسول الله، إنّا نخشى أن يظن عدوّنا أنّا نكره الخروج إليهم جبناً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا. وقال حمزة: والذي أُنزل عليه الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أُجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة. وكان هذا رأي الأكثرية، فعزم رسول الله -صلى الله عليه وآله- على الخروج، فصلّى بالنّاس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبر أنّ لهم النّصر ما صبروا وأمرهم بالتّهيّؤ لعدوّهم ففرح الناس بذلك. ثم صلّى -صلى الله عليه وآله- بالناس العصر وقد تحشّدوا، وحضر أهل العوالي واصطفّ الناس ينتظرون خروجه، فلبس -صلى الله عليه وآله- السلاح وخرج(٦).

في غزوة الخندق

لما خرجت قريش في حرب الأحزاب وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني قرارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن دخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع، وتوجّهوا في عشرة آلاف، وقيل: في ثمانية عشر ألف رجل نحو المدينة، وسمع رسول الله -صلى الله عليه وآله- بتجمع الأحزاب وسيرهم نحو المدينة المنورة استشار أصحابه، فكان رأيهم على المقام في المدينة وحرب القوم إن جاءوا إليهم على أنقابها. فأشار سلمان الفارسي بالخندق واستحسنه القوم، ونزل جبرئيل على رسول الله -صلى الله عليه وآله- بصواب رأي سلمان. فخرج رسول الله -صلى الله عليه وآله- فحدد حفر الخندق من ناحية أُحد إلى راتج، حيث كان سائر

أنحاء المدينة مشبك بالنّخيل والبنيان، وخط موضع الحفر بخط على الأرض، فضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله -صلى الله عليه وآله- ترغيباً للمسلمين في الأجر، فحفر بنفسه في موضع المهاجرين وعلي -عليه السلام- ينقل التّراب من الحفرة حتى عرق رسول الله -صلى الله عليه وآله- وعيا، وقال: «لا عيش إلّا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين»(٧).

استشارة أم سلمة

عن أبي عبد الله -صلى الله عليه وآله-، قال: " إنّ الله -عزّوجلّ- أمر رسول الله -صلى الله عليه وآله- في النوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع المحلقين، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج فخرجوا، فلمّا نزل ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن، وساق رسول الله -صلى الله عليه وآله- ستاً وستين بدنة وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبّين بالعمرة قد ساق من ساق منهم الهدي مشعرات مجللات ـ وساق قصة الحديبية وصدهم المشركين وكيفية الصلح إلى أن قال -عليه السلام- ـ وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم. فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة. فاغتمّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- من ذلك وشكا ذلك إلى أم سلمة. فقالت: يا رسول الله، انحر أنت واحلق. فنحر رسول الله -صلى الله عليه وآله- وحلق، فنحر القوم على خبث يقين وشك وارتياب. فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله- تعظيماً للبدن: رحم الله المحلقين. وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله، والمقصرين؛ لأنّ من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق. فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله- ثانياً: رحم الله المحلقين الذين لم يسوقوا الهدي. قالوا: يا رسول الله، والمقصرين. فقال: رحم الله المقصرين"، الخبر(٨).

ملكاً رسولاً أم عبداً رسولاً؟

استشار رسول الله -صلى الله عليه وآله- جبرئيل عندما نزل عليه ملك ـ وهو إسرافيل حسب بعض الرّوايات(٩) ـ وقال: إنّ الله تعالى يخيّرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً؟. فنظر رسول الله -صلى الله عليه وآله- إلى جبرئيل وأومأ جبرئيل بيده أن تواضع.

فقال -صلى الله عليه وآله-: " عبداً متواضعاً رسولاً "(١٠).

وحتى في اللحظات الأخيرة

في الحديث: " أنّه لمّا استأذن عزرائيل على رسول الله -صلى الله عليه وآله- ودخل بيت فاطمة -عليها السلام- وقال: السّلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك.

قال له رسول الله -صلى الله عليه وآله-: وعليك السلام يا ملك الموت.

قال عزرائيل: إنّ ربك أرسلني إليك وهو يقرؤك السلام ويخيّرك بين لقائه والرجوع إلى الدّنيا.

فاستمهله رسول الله -صلى الله عليه وآله- حتى ينزل جبرئيل ويستشيره، فخرج ملك الموت من عنده وجاء جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم **(وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)** (١١).

روايات الرسول -صلى الله عليه وآله- في الاستشارة

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: " ما تشاور قوم إلا هُدوا لأرشد أمرهم"(١٢).

وقال -صلى الله عليه وآله- ـ وهو يوصي أمير المؤمنين -عليه السلام- عندما بعثه إلى اليمن: " يا علي، ما حار من استخار، ولا ندم من استشار "(١٣).

وقال -صلى الله عليه وآله-: " ما من رجل يشاور أحداً إلا هُدي إلى الرّشد "(١٤).

وقال -صلى الله عليه وآله-: " لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير"(١٥).

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)**(١٦)، قال رسول الله -صلى

الله عليه وآله-: " أمّا إنّ الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمّتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيّاً".

وقال -صلى الله عليه وآله-: " إذا أشار عليك العاقل الناصح فاقبل وإياك والخلاف عليهم فإنّ فيه الهلاك"(١٧).

وقال -صلى الله عليه وآله-: " من استشاره أخوه المؤمن فلم يمحضه النّصيحة سلبه الله لبّه"(١٨).

الهوامش:

١. سورة الشورى: ٣٨.

٢. سورة آل عمران: ١٥٩.

٣. سورة المائدة: ٢٤.

٤. انظر كتاب (ولأول مرّة في تاريخ العالم)/ السيد محمد مهدي الشيرازي/ مؤسسة المجتبى/ مطبعة المجتبى/ ١٤٢٩هـ/ ج١ / ص١٢٠-١٢١.

٥. انظر المصدر نفسه/ ج١ ص١٢٤.

٦. انظر المصدر نفسه/ ج١ / ص١٤٢-١٤٣.

٧. انظر انظر المصدر نفسه/ ج١ ص١٧٨.

٨. مستدرك الوسائل/ ميرزا حسين النوري الطبرسي/ تحقيق مؤسسة آل البيت- عليهم السلام- لإحياء التراث/ قم المقدسة/ ج٩ / ص٣١٢-٣١٣.

٩. بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج١٦ / ص٢٩٢.

١٠. راجع الكافي/ محمد بن يعقوب الكليني/ تحقيق: مركز بحوث دار الحديث/

المطبعة: دار الحديث/ ط١/ ج٣/ ٣١٦.

١١. سورة الضحى: ٤ ـ ٥.

١٢. العلامة المجلسي/ المصدر السابق / ج ٧٥/ ص ١٠٥.

١٣. المصدر نفسه/ ج ٧٥/ ص ٤٥.

١٤. ميزان الحكمة / محمد الري شهري / ١٤١٦ هـ. ق/ التحقيق: دار الحديث الناشر: دار الحديث المطبعة/ الطبعة: الاولى/ ج٥/ ص١٣١.

١٥. مكارم الاخلاق/ الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي الطبعة السادسة/ ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م/ ص٢٣٨.

١٦. سورة آل عمران: ١٥٩.

١٧. العلامة المجلسي/ المصدر السابق / جزء ٧٢/ صفحة [١٠٥]

١٨. المصدر نفسه / ج ٧٢/ ص١٠٤.

محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

تساؤلات حول نبي الرّحمة – صلى الله عليه وآله –

السيد صباح الموسوي
خطيب حسيني

مفهوم (الرّحمة) يشكّل أحد المحاور الأساسية في فكر الإنسان المعاصر، ورغم أنّ (الرحمة) من القيم المحورية في الإسلام، ولكنّنا نلاحظ أنّ الجهات الأخرى تبنّت اليوم هذه القيمة نظرياً وعملياً، ولا نريد الآن البحث في ما إذا كان هذا التّبني تبنّياً واقعياً أم مزيّفاً، فلهذا مجال آخر، ولكن الشّيء الواضح هو أنّ الجهات الأخرى ترفع اليوم شعار (الرحمة) وتتبناه نظرياً وعملياً، فالغرب يرفع شعار الدّفاع عن حقوق الأطفال في العالم وحقوق المرأة وحقوق السّجناء و..، أمّا نحن المسلمون فمن المؤسف أنّ تبنّينا لهذه القيمة اليوم ضعيف جدّاً، سواء من النّاحية النّظرية أم من النّاحية العملية. فلو أُعتُقل أحد المؤمنين في إحدى البلاد الإسلامية، فربّما يبقى أعواماً لا يُعرف عنه شيء، في حين أنّه لو اعتقل فرد من دين آخر فإنّ لجان الدّفاع عن حقوق الإنسان توجه ضغوطاً كبيرة إلى الدّولة التي تعتقله حتى تطلق سراحه.

الرّحمة في النّصوص الإسلامية

إنّ النّصوص الإسلامية مشحونة بمفهوم الرّحمة، فأول ما تفتح كتاب الله -تعالى- يواجهك شعار الرّحمة: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**)، كما أنّ هذا الشّعار مَطْلع كل سورة في القرآن الكريم.

وقد تكررت كلمة (الرّحمة) ومشتقّاتها في القرآن الكريم مئات المرّات.

كيف يكون نبينا -صلى الله عليه وآله- رحمةً للعالمين؟

هناك أسئلة في الأذهان عن قوله -تعالى-: (**وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**)(١) نحاول الإجابة عنها:

السّؤال الأول: إذا كان النّبي -صلى الله عليه وآله- رحمةً للعالمين، فلماذا لم ينتفع الكُفّار بهذه الرّحمة؟

هناك إجابات عديدة عن هذا السؤال ولكننا نكتفي بالإشارة إلى إحداها وهي: إنّ (الرّحمة) لها مراتب، وبعض مراتب هذه الرّحمة شملت الجميع.

لقد كان الغرب في القرون الوسطى يغطّ في ظلام الجهل والتّخلّف في كل المجالات، كما يعترف مؤرّخوهم بذلك. ففي المجال الصّحي كانت مستشفياتهم كاصطبلات الحيوانات، أما الوضع العلمي فيكفي أن نعرف أنّهم كانوا يقتلون علماءهم ويحرقونهم.

وأمّا المرأة فكانت محتقرة أيّما احتقار، حتى بُعث نبينا -صلى الله عليه وآله- وغمر العالم بأنواره، وما مبادئ حقوق الإنسان وحرّيّة الرّأي وما يعبّر عنه بالديمقراطية في عالم اليوم إلّا حصيلة احتكاك الغرب بالحضارة الإسلامية. فإذا كان الإنسان المعاصر ينعم بقدر من الحرّيّة والأمن والعلم والمعرفة فإنّما ذلك ببركة النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-. ولقد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزهراء -عليها السلام- إلى بعض الجوانب من هذه النّقلة النّوعيّة التي حققها رسول الله -صلى الله عليه وآله- في قولها: **(فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله)**(٢).

اتضح إذن أنّ النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- لم يكن رحمةً للمؤمنين أو المسلمين فقط، بل كان رحمة للعالمين جميعاً.

لا منافاة بين الرّحمة والعقوبات الإسلامية

السّؤال الثّاني: إذا كان الإسلام دين الرّحمة، والرّسول -صلى الله عليه وآله- نبي الرّحمة، فكيف نفسّر العقوبات الجَزائيّة في الإسلام، أليست هذه العقوبات منافية للرّحمة؟

نشير في الجواب ـ على نحو الإجمال أيضاً ـ إلى نقطتين:

النّقطة الأولى: إنّ نظام العقوبات يمثّل جزءً محدوداً من الإسلام، وإنّ قيمته الكاملة تكمن في كونه يمثّل جزءً من النظام الإسلامي كلّه، ولو فصّلنا أي جزء من المجموعة التي ينتمي إليها وعرضناه على أنّه يمثّل الكل فإنّ الصورة التي يعكسها هذا الجزء قد لا تكون جميلة، بل ربما تكون قبيحة منفرة.

والمشكلة أنّ بعض الناس يتصور أنّ الإسلام ليس سوى نظام عقوباته جزائية، فما أن يُذكر اسم النّظام الإسلامي حتى يتبادر إلى ذهنه أنّه النّظام الذي يُطبّق تلك العقوبات،

فإذا قيل له مثلاً: لنعمل من أجل أن يصل الإسلام إلى الحكم، قفزت إلى ذهنه قطع يد السّارق وإقامة الحد على الزّاني، مع أنّ الإسلام أوسع من ذلك بكثير، ولو راجعتم كتب الفقه فسترون أنّ الحيّز الذي يشغله النّظام الجزائي ـ ككتاب الحدود والقصاص والدّيّات ـ صغير قياساً إلى باقي الأجزاء مثل العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات وغيرها.

وقد روي أنّه جيء برجل سارق عند المأمون ـ العباسي ـ ليقطع يده، فاعتذر الرجل باضطراره، فالتفت المأمون للإمام الرضا -عليه السلام- وسأله: ما تقول؟ فقال الإمام -عليه السلام- : فللّه الحجة البالغة، أي لقد احتج عليه فرُدّه بالحجة، فغضب المأمون على الإمام!.

قال ابن سنان: كنت عند مولاي الرضا -عليه السلام- بخراسان وكان المأمون يقعده على يمينه إذا قعد للناس يوم الاثنين ويوم الخميس، فرفع إلى المأمون إن رجلاً سرق، فأمر بإحضاره، فلما نظر إليه وجده متقشفاً بين عينيه أثر السّجود فقال: سوءة لهذه الآثار الجميلة وهذا الفعل القبيح، تُنسب إلى السرقة مع ما أرى من جميع آثارك وظاهرك؟ قال: فقال: ذلك اضطراراً لا اختياراً حين منعتني حقي من الخمس والفيء، قال المأمون: وأي حقّ لك في الخمس والفيء؟ قال إنّ الله -تعالى- قسم الخمس ستة أقسام فقال: (**وَاعْلَمُوَا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مّن شَيْءٍ فَأَنَّ للّهِ خُمُسَهُ وَلِلرّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىَ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**)(٣) وقسّم الفيء على ستة أسهم فقال الله -تعالى-: (**مّآ أَفَآءَ اللّهُ عَلَىَ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىَ فَلِلّهِ وَلِلرّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ**)(٤) فمنعتني حقّي وأنا ابن السّبيل منقطع بي ومسكين لا أرجع إلى شيء ومن حملة القرآن، فقال المأمون: أعطّل حداً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السّارق من أجل أساطير هذه؟ فقال الرجل: ابدأ بنفسك فطهّرها ثم

طهّر غيرك وأقم حدّ الله عليها، فالتفت المأمون إلى أبي الحسن -عليه السلام- فقال: ما يقول؟ فقال -عليه السلام-: إنّه يقول سرقتَ فسرق، فغضب المأمون غضباً شديداً ثم قال للرجل: والله لأقطعنك، فقال الرجل: أتقطعني وأنت عبد لي، فقال المأمون: ويلك ومن أين صرت عبداً لك؟ قال: لأنّ أمّك اشتُريت من مال المسلمين فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب حتى يعتقوك وأنا لم أعتقك، ثم بلعت الخمس بعد ذلك فلا أعطيت آل الرّسول حقّاً ولا أعطيتني ونظرائي حقّاً، وأخرى إنّ الخبيث لا يطهّر خبيثاً إنّما يطهره طاهر، ومن في جنبه الحد فلا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه، أما سمعت الله -تعالى- يقول: **(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)**(٥) فالتفت المأمون إلى أبي الحسن -عليه السلام- فقال: ما ترى في أمره؟ فقال -عليه السلام-: **(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)**(٦) وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدّنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل بالقرآن، فأمر المأمون عند ذلك بإطلاق الرّجل واحتجب عن الناس واشتغل بأبي الحسن -عليه السلام- حتى سمّه فقتله.(٧)

فكأنّ الإمام -عليه السلام- يقول في جواب المأمون: إذا كان النّظام الاقتصادي فاسداً فقام فقير بالسّرقة مضطرّاً، فلا معنى لتطبيق العقوبة عليه.

ولذلك نلاحظ أنّه عندما كان النّظام الإسلامي مطبّقاً إلى حد مّا، لم يكن القضاة يعرفون بعض الحدود(٨)، لأنّهم لم يكونوا بحاجة إلى تنفيذها، ولقد روى المؤرخون أنّ سارقاً سرق في عهد الإمام الجواد -عليه السلام- وجيء به إلى القضاء، ولكن القُضاة لم يعرفوا من أين ينبغي أن تُقطع يده واختلفوا، حتى أنّ قاضي القضاة لم يعرف الجواب فلجؤوا إلى الإمام -عليه السلام- فبيّن لهم الحكم!

أما النّقطة الثانية: فهي أنّ كلّ قانون بحاجة إلى ضمانة تنفيذية، ومن دونها لا ينجح القانون، والعقوبات تشكّل إحدى الضّمانات لتنفيذ القانون، وعلى هذا جرت سيرة

العقلاء؛ ولذلك يقول علماء الكلام: إنّ محركية القانون لا تتم إلاّ بالوعد والوعيد.. ففي ظلّ نظام لا يعاقب المجرمين يفقد النّاس الأمان ويطاردهم شبح العدوان على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم... ولا يهنئون بعيشهم؛ ولذلك قال الله -تعالى-: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ)**(٩).

فإنّ في موت القتلة حياة من سواهم من الأبرياء، وهذا يعني أنّ العقوبات الإسلامية رحمة للناس؛ لأنّها تحقّق لهم حياةً آمنة.

السؤال الثالث: ما هي وظيفتنا تجاه الإسلام؟

إذا عرفنا أنّ الإسلام دين الرّحمة، وأنّ نبيّنا -صلى الله عليه وآله- هو نبي الرّحمة، كما روي عنه أنّه -صلى الله عليه وآله- قال عن نفسه الشّريفة: **" إنّما أنا رحمة مهداة"**(١٠)، فما هي وظيفتنا تجاه هذا الدّين الذي هو دين الرّحمة؟

نقول في الجواب: إنّ وظيفتنا الأولى تجاه الإسلام هو عرضه، ولا يكفي عرضه نظريّاً، بل لابُد من عرضه عملياً أيضاً.

إنّ كثيراً من الناس لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولو عرف النّاس الإسلام على حقيقته لأقبلوا عليه، فإنّ في الإسلام دقائق تكشف عن عظمته. إنّ الإسلام ليس رحمة للإنسان فحسب بل هو رحمة للحيوان أيضاً. ولو راجعتم كتب الرّوايات للاحظتم روايات عجيبة في هذا المجال. فهناك حقوق يذكرها الإسلام للحيوان لم تصل إليها الحضارة المعاصرة رغم الشّعارات التي ترفعها في الدّفاع عن حقوق الإنسان وحقوق الحيوان.

من الرّوايات العجيبة في هذا المجال ما روي عن النبي -صلى الله عليه وآله- أنّه قال:**" نظفوا مرابض الغنم وامسحوا رغامهنّ"**(١١).

فالإسلام يقول لأتباعه: حتى مرابض الغنم ينبغي أن تكون نظيفة، والأعجب

من ذلك أنّه يدعوهم لمسح رغامها أي ما يخرج من أنوفها، فهل تجدون نظيراً لذلك في عالم اليوم؟

وهناك رواية مرويّة عن الإمام الصّادق -عليه السلام- يعدد فيها ستّة حقوق للدّابة على صاحبها؛ يقول:

١: " لا يحملها فوق طاقتها".

٢: " ولا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها" فإنّه إذا كان معذوراً أن يركبها حال السّفر والتّنقل، فهذا لا يعني أن يُتعبها من دون ضرورة، فلا ينبغي له أن يظل راكباً عليها يُحدّث صديقاً له، بل ينبغي له أن يترجّل عنها ثم يُحدّث!.

٣: " ويبدأ بعلفها إذا نزل". وهذا أيضاً من عجائب التّشريع الإسلامي؛ فإنّ السفر يُتعب الإنسان عادة، وعندما يصل المسافر يكون عادة منهكاً يُفكّر في راحته وغذائه أوّلاً، وهذا ما نلمسه عندما نُسافر اليوم، فكيف إذا كان السّفر على الدّواب وعبر الطّرق القديمة، ولكن الإمام -عليه السلام- يقول: ينبغي أن تُفكّر في علف الدّابّة أوّلاً وليس في طعامك وشرابك.

ومن الحقوق:

٤: " ولا يَسِمَها " فإنّهم كانوا يضعون علامات على الدّواب عن طريق كيّها في مواضع من بدنها، فنهاهم الإسلام عن ذلك.

٥: " ولا يضربها في وجهها فإنّها تُسبّح ".

٦: " ويعرض عليها الماء إذا مرّ به"(١٢).

وفي رواية أخرى:" ولا يضربها على النّفار "(١٣)، أي عندما تنفر.

والرّوايات في هذا الباب كثيرة سواء عن النبي -صلى الله عليه وآله- أو عن الإمام الصادق -عليه السلام- وهكذا عن سائر الأئمة -عليهم السلام-، وما أعظم قول

الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- في هذا المجال: **" والله لو أُعطيتُ الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جُلب شعيرة ما فعلتُه"**(١٤).

إنّ القرآن حق، ومن طبيعة الحق أنه يهزم الباطل. إنّ الحق يخيف أهل الباطل، لأنّ النّاس إذا عرفوه تركوا الباطل واتجهوا إليه، كالشّمس عندما تشرق، حتى تطفأ المصابيح التي كانت مسرجة طوال اليوم ويتم الاستغناء عنها.

إنّ القرآن الكريم يؤثّر في أعماق الإنسان، وإنّه ليُؤثّر فينا ويهزّنا نحن الذين عشنا في أجوائه منذ نعومة أظفارنا، فكيف بمن يسمعه لأوّل مرّة؟! ما ألذّ سماع القرآن وهو ينطلق من المآذن خاصّة في الأسحار! وما أعظم أثره في النّفوس!

إنّ الطّاقة التي يولّدها القرآن الكريم في النّفوس لا تماثلها طاقة.

وهكذا الأمر في أحاديث النبي -صلى الله عليه وآله- وأحاديث الإمام الصّادق -عليه السلام- وأحاديث سائر الأئمة المعصومين -عليهم السلام-، كنهج البلاغة والصّحيفة السّجّادية.

الهوامش:

١. سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٧.

٢. بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٢٩/ ص٢٢٤.

٣. سورة الأنفال/ الآية: ٤١.

٤. سورة الحشر/ الآية: ٧ .

٥. سورة البقرة/ الآية: ٤٤ .

٦. سورة الأنعام/ الآية:١٤٩ .

٧. العلامة المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٤٩ ص ٢٨٩.

٨. أي لا يعلمون بكيفيتها ومقدارها، فكيف بإجرائها.

٩. سورة البقرة/ الآية: ١٧٩.

١٠. العلامة المجلسي/ المصدر السابق/ ج١٦/ ص١١٥.

١١. المصدر نفسه / ج٦١ / ص١٥٠.

١٢. المصدر نفسه / ج٦١ / ص ٢٠٢.

١٣. المصدر نفسه / ج ٦١ / ص ٢٠٢.

١٤. المصدر نفسه / ج٤٠ / ص ٣٤٨.

صلى الله
عليه وآله
وسلم
محمد

المذهب الجعفري

جنان محمد/ كاتبة

إنّ المذهب في عرف أهل الإسلام هو المرجع في أحكام الدّين، وهذا لا يقتضي أن يكون الصادق -عليه السلام- دون بقية الأئمة -عليهم السلام- مذهباً، لأنّ الشّيعة الأمامية ترى أنّ كل إمام من أولئك الأئمة من علي أمير المؤمنين -عليه السلام- إلى الحجة المنتظر المهدي -عجل الله تعالى فرجه- يجب الأخذ بقوله، والعمل برأيه، لأنّ علمهم كما وردت بذلك النّصوص واحد موروث من الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- لا يختلفون في أخذه ولا يروون عن غيره، وعلمهم سلسلة واحدة يرثه الابن عن أبيه من دون اجتهاد فيه ولا تحريف في أخذه ونقله.

لكن الفرصة لم تسنح لواحد منهم في إظهار ما استودعهم الرسول -صلى الله عليه وآله- وإبلاغ ما استحفظهم عليه، كما سنحت للإمام الصادق جعفر بن محمد -عليه السلام- فإنّ الذي ساعد على بثه للمعارف ونشره للعلوم الموروثة لهم من سيّد الرّسل محمد -صلى الله عليه وآله- اجتماع عدّة أمور:

الأول: إنّ زمن استقلاله بالإمامة قد طال حتى جاوز الثّلاثين عاماً، ولئن كان جدّه الإمام زين العابدين-عليه السلام- وابنه الإمام موسى الكاظم وحفيده الإمام الهادي -عليهم السلام- قد شاركوه في طول الزمن، وكانت أيام إمامتهم تجاوزت الثلاثين عاماً أيضاً فإنّه لم يتّفق لهم ما اتفق له .

الثاني: إنّ أيّامه -عليه السلام- كانت أيام علم وفقه، وكلام ومناظرة، وحديث ورواية، وبدع وضلالة، وآراء ومذاهب، وهذه فرصة جديرة بأن يُبدي العالم فيها علمه، ليقمع بذلك الأضاليل والأباطيل، ويبطل الآراء والأهواء، ويصدع بالحق، وينشر الحقيقة.

الثالث: إنّه مرّت عليه فترة من الرّفاهية وعلى بني هاشم لم تمر على غيره من الأئمة -عليهم السلام-، فلم يتفق له على الأكثر ما كان يحول دون آبائه وأبنائه -عليهم السلام- من الجهر بمعارفهم بالتّضييق عليهم ومنع الناس عنهم ومنعهم عن الناس

من ملوك أيّامهم.

ولم يملك من الأئمة -عليهم السلام- زمام الأمر سوى أمير المؤمنين -عليه السلام- ولكن كانت أيّامه على قصرها بين حرب وكفاح وبين مناهضة للبدع والضّلالات، فحملوه على السير في محجة لا يجد مناصاً من السلوك فيها، على أنّه لم تكن في أيّامه ما كان في عهد الصادق -عليه السلام- من انتشار العلم بين طبقات الناس وظهور الأهواء، والآراء والنّحل والمذاهب.

أما الإمام الصادق -عليه السلام- فقد عاصر الدّولتين المروانيّة والعبّاسيّة، ووجد فترة لا يخشى فيها سطوة ظالم ولا وعيد جبّار.

وتلك الفترة امتزجت من أخريات دولة بني مروان وأوليات دولة بني العباس؛ لأنّ الأمويين وأهل الشّام لمّا أجهزوا على الوليد بن يزيد وقتلوه انتفضت عليهم أطراف البلاد وتزعزت أركان سلطانهم، وكانت الدّعوة لبني هاشم قد انتشرت في جهات البلاد، فكانت تلك الأمور كلها صوارف لبني مروان عمّا عليه الإمام الصادق -عليه السلام- من الحياة العلمية.

ولما انكفأ بهم الزمن وسالم بني العباس اشتغل بنو العباس بتطهير الأرض من بني أميّة وبتأسيس الدّولة الجديدة.

ومن الواضح أنّ الملك الغض يحتاج زمناً لتأسيسه ورسوخه، فكان انصرافهم لبناء المُلك، وإحاطته شاغلاً لهم برهة من الزّمن عن شأن الصّادق -عليه السلام- في بثّه العلوم والمعارف وإن لم يتناسه السّفّاح، ولكن لم يجد عنده ما يخشاه.

ولما جاء المنصور وصفى الملك له ناصب للإمام -عليه السلام- العداء، فكان يضيّق عليه مرّة، ويتغاضى عنه أخرى.

فقد جاء في المناقب في أحوال الإمام -عليه السلام-: أنّ المنصور قد همّ بقتل أبي عبد الله -عليه السلام- غير مرّة، فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله فإذا نظر إليه هابه ولم

يقتله، غير أنّه منع الناس عنه ومنعه من القعود للناس واستقصى عليه أشدّ الاستقصاء، حتى أنّه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه في نكاح أو طلاق، أو غير ذلك، فلا يكون علم ذلك عندهم ولا يصلون إليه فيعتزل الرّجل أهله، فشقّ ذلك على شيعته وصعب عليهم، وحتى ألقى الله -عزّوجل- في روع المنصور أن يسأل الصادق -عليه السلام- ليتحفه بشيء من عنده لا يكون لأحد مثله، فبعث إليه بمخصرة كانت للنبي -صلى الله عليه وآله- طولها ذراع، ففرح بها فرحاً شديداً وأمر أن تُشق أربعة أرباع، وقسّمها في أربعة مواضع، ثم قال له: ما جزاؤك عندي إلا أن أطلق لك، وتفشي علمك لشيعتك، ولا أتعرض لك ولا لهم، فاقعد غير محتشم، وافت الناس ولا تكن في بلد أنا فيه، ففشى العلم عن الإمام الصادق -عليه السلام-.

فلهذا وغيره انتشر عن الإمام الصادق -عليه السلام- من العلوم ما لم تسمح الظروف به لسواه من الأئمة -عليهم السلام-.

وهذه كتب الحديث والفقه والأخلاق والاحتجاج وغيرها من كتب المعارف والعلوم ترشدك إلى ما كان منه، وكفت كثرة رواته والرّواية عنه، ولقد كتب عن رواته جملة المؤلّفين وذكروا أنّ عددهم أربعة آلاف أو يزيدون، ذكر ذلك ابن عقدة.

فإذا كانت الرّواة عنه أربعة آلاف، فكم كانت الرّواية؟...وإذا كان راوٍ واحد يروي عنه ثلاثين ألف حديث، فكم تكون رواية الباقين؟...وكم هي العلوم والمعارف التي أسندت إليه؟...

وجملة القول، أنّ الإمام الصادق -عليه السلام- إنّما عُرف بأنّه مذهب تنتسب إليه الإمامية والجعفرية، لما انتشر عنه من العلم وحفظ منه من الحديث، حتى أنّ أكثر ما في كتب الحديث الشيعية مرويّ عنه.

وما كانت الرّواية عنه مقصورة على الشّيعة بل أخذ عنه أكابر معاصريه من أهل السّنّة، ومنهم مالك وأبو حنيفة وأيوب وابن جريح وشعبة وغيرهم، بل أرجع ابن أبي

الحديد فقه المذاهب الأربعة إليه.

وكان انتساب الشّيعة إليه من عهده، وهو القائل في وصاياه لأصحابه:

" فإنّ الرّجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري ويسرّني ذلك، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر".

هذا هو الإمام الصادق -عليه السلام- الذي ننتسب إليه نحن الشيعة، ونعدّه رئيس مذهبنا، وقد أشار لنا في الكلمة التي جعلناها ختام حديثنا إلى من هم شيعة جعفر بن محمد-عليه السلام-، من خلال تعرّضه للصّفات التي ينبغي أن يتحلّى بها من يريد أن ينتسب إليه.

وكأنه -عليه السلام- يقول: بأنه ليس كل من يدّعي الانتساب لجعفر بن محمد، يُنسب لجعفر، إنّما المنتسبين لجعفر هم بالخصوص من كانوا يملكون عدة صفات ومقوّمات، أما إذا كانوا لا يمتلكون تلك الصفات فإنّه لا يصح لهم الانتساب لجعفر، وستكون دعواهم الانتساب إليه باطلة.

اللهم اجعلنا من شيعة الإمام جعفر بن محمد -عليه السلام- كما أراد لنا .

الأوصياء
عليهم السلام

الإمام الصادق -عليه السلام- منهجه التربوي

علي حسين/ إعلامي

قال الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«إنّي لاكره للرجل أن يموت وقد بقيت عليه خلّة من خلال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)لم يأتِ بها »(١).

لقد اعتنى أهل البيت -عليهم السلام- بتعليم أصحابهم وتلامذتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة لتجسيد العقيدة والأخلاق والأحكام والمفاهيم الأسلامية سلوكاً في واقع الحياة، وبناء وتربية الإنسان المسلم وفق كتاب اللّه وسنّة نبيّه -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ لإيجاد شخصيات إسلامية تحمل منار الهداية والدعوة إلى الإسلام فتشعّ على الآخرين العلم والعمل، وتقودهم نحو الالتزام، لتكوين تيّار إسلامي في المجتمع بعد أن طرأت عليه عوامل التخريب والتحريف، والقيام بمهمّة التغيير والإصلاح الاجتماعي. ونشاهد هذه الحقيقة متجسّدة في سلوكهم وأخلاقهم -عليهم السلام-، كما نشاهد هذا الاهتمام والاتّجاه واضحاً في وصاياهم وتربيتهم لتلامذتهم وأصحابهم، فهذا الإمام أبو جعفر محمد الباقر -عليه السلام- يزيح الشبهات التي روّجها بعض معاصريه ممّن أرادوا تحريف الاسلام وهدمه: من أنّ حُبَّ أهل البيت -عليهم السلام- والموالاة لهم يكفي الانسان المسلم، ولا حاجة إلى الالتزام بالفرائض وما أراد اللّه-تعالى-، ويوضح لهم المنهج الحقّ الذي يسير عليه أهل البيت -عليهم السلام-، ويجب أن يسير عليه المسلمون ويلتزموا به، وهو منهج العلم والاعتقاد الحقّ، والعمل والتطبيق لكلّ ما جاء به القرآن وبلّغه نبيّ الهدى محمّد -صلى الله عليه وآله وسلم- وسار عليه في حياته. لنستمع له وهو يوضّح هذه الحقيقة بقوله:

«واللّه ما معنا من اللّه براءة، وما بيننا وبين اللّه قرابة، ولا لنا على اللّه حجّة، ولا يُتقرّب إلى اللّه إلاّ بالطاعة، فمَن كان منكم مطيعاً نفعته ولايتنا، ومَن كان منكم عاصياً لم تنفعه ولايتنا»(٢).

وروى عمرو بن سعيد بن هلال، قال:

«قلت لابي عبدالله -عليه السلام-: جُعلت فداك، إنّي لا أكاد أن ألقاك إلاّ في السنين، فأوصني بشيء آخذ به؟ قال: أُوصيك بتقوى اللّه، والورع والاجتهاد، واعلم أنّه لا ينفع اجتهاد بلا ورع»(٣).

وأوصى الإمام جعفر بن محمد الصادق-عليه السلام- أحد أصحابه - أبا أُسامة - وأمره أن ينقل هذه الوصية لاتباعه، نقتطف منها موضع الحاجة.

«فاتّقوا اللّه وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فإنّه ما قيل لنا فما نحن كذلك، لنا حقّ في كتاب اللّه، وقرابة من رسول اللّه، وتطهير من اللّه، وولادة طيّبة لا يدّعيها أحدٌ غيرنا إلاّ كذّاب، أكثروا ذكر اللّه وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فإنّ للصلاة عليه عشر حسنات»(٤).

وروى هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول لحمران:

«أُنظر إلى مَن هو دونك، ولا تنظر إلى مَن هو فوقك في المقدرة، فإنّ ذلك أقنع لك بما قسم لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من اللّه، واعلم أنّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند اللّه من العمل الكثير على غير يقين، واعلم أنّه لا ورع أنفع من اجتناب محارم اللّه والكفّ عن أذى المسلمين واغتيابهم، ولا شيء أهنأ من حسن الخلق، ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزي، ولا جهل أضرّ من العُجب»(٥).

هذه صفة المسلم المثالي الملتزم كما سعى لصناعته وتربيته وتكوينه أهل البيت -عليهم السلام-، وهذا هو منهجهم في بناء وتربية الأُمّة المسلمة والمجتمع المسلم، وهذه دعوتهم التي خاطبوا بها أُمّة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-: الالتزام بكتاب اللّه وسنّة رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وبناء الحياة على أساس ذلك الهدى وهذا المنهج القويم، فما أحرى المسلم أن يهتدي بهداهم ويقتدي بوصاياهم ويستمع إلى تذكرتهم!

خلق الامام الصادق -عليه السلام- وأدبه، ينطلق من واقع أصالته ومحتده العريق بالنبوّة، والشامخ بالامامة، حيث تتجمّع الكمالات الانسانية في أروع مثلها وقيمها،

قولاً وعملاً، وإطاراً ومحتوىً، وخلقه امتداد طبيعي لخلق الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله وسلم-وأدبه، فهو وغيره من أئمّة أهل البيت ما ورثوا عن جدّهم صفراء ولا بيضاء، وإنّما ورثوا علومه وصفاته المثلى التي كان لهم شرف احتوائها والحفاظ عليها، فهم الأُمناء على معطيات رسالته، والحَفَظة لمبادئه ومُثُله، يروونها عنه قولاً، ويجسّدونها في ممارساتهم عملاً...

عن ابن أبي يعفور، قال: رأيت عند أبي عبد الله -عليه السلام- ضيفاً، فقام يوماً في بعض الحوائج، فنهاه عن ذلك وقام بنفسه إلى تلك الحاجة وقال: نهى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- عن أن يستخدم الضيف(٦).

وعن حفص بن أبي عائشة: بعث أبو عبد الله غلاماً له في حاجة، فأبطأ، فخرج أبو عبد الله على أثره لمّا أبطأ فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّح له حتّى انتبه، فقال له أبو عبد الله: يا فلان، والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار(٧).

فهو -عليه السلام- لا يأخذ عبده بالقسوة والغلظة عندما يقترف الذنب الذي يستحقّ عليه العقوبة، بل يروّح له حينما يراه نائماً حتّى يستيقظ من نفسه، ثمّ يخاطبه مؤنّباً بالكلمة الطيّبة، والعتاب الهادىء، الذي يبعث الاطمئنان في نفس العبد، ويوحي له بالثقة بسيّده ويدفعه للاطاعة.

ومن تواضعه ما رواه أبو بصير قال: دخل أبو عبد الله -عليه السلام- الحمّام، فقال له صاحب الحمام: أُخليه لك، فقال: لا حاجة لي في ذلك، المؤمن أخفّ من ذلك(٨).

وهذه الحادثة على بساطتها، لا ينبغي أن نمرّ بها من غير أن نفهم المغزى البعيد الذي يرمي إليه الامام في سلوكه الانساني منها، فقد دأب الكبار من ذوي المقامات العالية من الناس، على تجنّب الاختلاط بالعامة في مثل هذه الموارد ترفّعاً وكبراً، وشعوراً منه بالامتياز والطبقية، ولكنّ الامام أراد أن يثبت للآخرين عملياً، أنّ رفعة الانسان وامتيازه إنّما هي بقيَمه ومثله، وبإنسانيّته الفاضلة التي ترتفع به إلى المستوى اللائق به.

أمّا فيما يرجع للحياة العادية وقضايا العشرة، فإنّ على الإنسان أن لا يظلم الآخرين بسلوكه المتميّز، ليشعرهم بالتفاوت الطبقي الذي يمزّق الوحدة الاجتماعية، ويفتّت القاعدة الأساسية التي يقوم عليها بناؤها المتماسك، وهي التلاحم المتمثّل بالإيمان والمحبّة والمساواة.

وعن يعقوب بن السرّاج قال: كنّا نمشي مع أبي عبد الله -عليه السلام- وهو يريد أن يهنّئ ذا قرابة له بمولود له، فانقطع شسع نعله، فتناول نعله من رجله ثمّ مشى حافياً، فنظر إليه ابن أبي يعفور فخلع نعل نفسه من رجله، وخلع الشسع منها، وناولها أبا عبد الله، فأعرض عنها، وأبى أن يقبلها، وقال: لا، إنّ صاحب المصيبة أولى بالصبر حتّى يجد لها حلاً، فإنّ غيره ليس بأولى منه بالصبر عليها(٩).

والامام يريد أن يشعر الاخرين بأنّ الانسان فيما يطرأ عليه من المشاكل، عليه أن يتحمّل همّها بنفسه ولو كانت ممّا يخدش بكبريائه، فالإمام يرفض أن يتحمّل الآخرون مسؤوليّته.

وقد بدأت تلك التعقيدات تسيطر على سلوك الحاكمين والمنتسبين إليهم، عندما تولّى معاوية بن أبي سفيان إمارة الشام، ثمّ استولى على الخلافة بعد ذلك. فقد أحاط نفسه بهالة من التجلّة والتعظيم، وفرض لنفسه امتيازات معيّنة جرت عليها سنّة الخلفاء من بعده، واقتدى بهم ولاتهم والمقرّبون إليهم، وكان من جرّاء ذلك أن انقلب ميزان السلوك الاجتماعي الاسلامي المتكافىء بين فئات الأُمّة، إلى تناقضات طبقيّة مفتعلة، تولّدت عن رواسب قبلية جاهلية، كانت لا تزال حيّة في نفوس هؤلاء الحاكمين، الذين لم ينسجم واقعهم النفسي مع مبادىء الرسالة ومعطياتها الإنسانية الخالدة.

ويمكننا أن نتعرّف على مدى ابتعاد مثل هذا السلوك عن روح الاسلام ومنهجه في السلوك الاجتماعي ممّا ورد على لسان الإمام علي -عليه السلام- في وصف النبي -صلى الله عليه وآله- من أنّه: كان فينا كأحدنا، وما قيل من أن بعض من لا يعرف النبي -صلى

الله عليه وآله - بشخصه، كان إذا دخل المسجد لا يمكنه تمييز النبي -صلى الله عليه وآله- عن غيره من أصحابه إلاّ بعد أن يسأل عنه.

ومن روائع أخلاق الإمام الصادق ومثاليّته ما ذكر: من أنّه نام رجل من الحاجّ في المدينة، فتوهّم أن هميانه سرق، فخرج فرأى الامام مصلّياً ولم يعرفه، فتعلّق به وقال له: أنت أخذت هميانى. قال الإمام: ما كان فيه؟ قال الرجل: ألف دينار.

فحمله الامام إلى داره، ووزن له ألف دينار وعاد إلى منزله، فوجد هميانه، فرجع إلى الامام معتذراً بالمال، فأبى قبوله وقال: شيء خرج من يدي لا يعود إليّ، فسأل الرجل عنه، فقيل: هذا الإمام جعفر الصادق-عليه السلام-. قال: لا جرم هذا فعال مثله(١٠).

وهكذا يمثّل الامام بسلوكه الأخلاقي المتواضع: السلوك الرسالي الذي أراده النبي -صلى الله عليه وآله - أن يكون الطابع العام الذي يتميّز به المجتمع الاسلامي عن غيره من المجتمعات الغريبة عن مبادىء السماء.

الهوامش:

١.مكارم الأخلاق/ الحسن الطبرسي/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت لبنان/ ص٣٩.

٢.بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٦٥ / ص١٧٨.

٣.المصدر نفسه/ ج٦٦/ ص٣٩٨.

٤. المصدر نفسه / ج ٦٧ / ص٢٩٩.

٥. المصدر نفسه/ ج ٦٦ / ص ٤٠٠.

٦.المصدر نفسه / ج ٤٧ / ص ٤١.

٧. المصدر نفسه / ج ٤٧ / ص ٥٦.

٨. المصدر نفسه / ج٤٧ / ص ٤٧.

٩. بالمصدر نفسه / ج٤٧ / ص ٤٦.

١٠. المصدر نفسه / ج ٤٧ / ص .

فاطمة الزهراء

النبي محمد -صلى الله عليه وآله- في دعاء فاطمة الزهراء -عليها السلام-

السيد محمود الموسوي
باحث اسلامي

الدعاء كنز من كنوز أهل البيت -عليهم السلام-، وهو دائرة معارف ومنظومة فكرية متعددة في مجالاتها وتناولاتها، كما أن الدعاء يشمل كل تفاصيل الإنسان، وكل ما يحتاج الإنسان فيه إلى الله -تعالى- مستمداً منه العزم والتسديد، ولهذا اشتملت أدعية أهل البيت -عليهم السلام- على مواضيع متنوعة، في الإلهيات وفي الكونيات وفي النفس ودواخلها وفي المجتمع وحركته وفي بناء الإنسان وما يرتبط بتعامله وأخلاقه وحاجياته، وفي السياسة وحركة القوى المتنوعة في المجتمع، وكذا في الرسالة ومساراتها وتحدياتها وعلاقة الإنسان بها.

ومن هنا فإن الدعاء هو وحدة عبادية كما قال -تعالى-: **(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)**(١) والإسلام يؤسس إلى النظام التربوي الإسلامي من خلال العبادات المتنوعة التي يمارسها الإنسان في ساعاته وأيامه.

أهمية دراسة أدعية أهل البيت -عليهم السلام-

الدعاء رسالة تربوية معرفية مهمة، يمكننا أن نستوضح منه المعارف المتنوعة، والمطلع على الأدعية المأثورة لأهل البيت -عليهم السلام- يلاحظ بوضوح تام، المعارف العالية المرتبة والمتسلسلة، وكل ذلك لصلاح الإنسان ولبيان الحقائق، فأهمية دراسة أدعية أهل البيت -عليهم السلام- تنطلق من كونها أدعية بالغة الدقة في الوصول إلى المطلوب في الأسلوب وكيفية التحدث مع الرب -جل وعلا-، وكذا في احتوائها على المعارف المتنوعة، التي يمكن أن ننهل منها ونستفيد منها في حياتنا، بل يمكن أن نتوصل من خلال دراستها إلى حقائق معرفية في العقيدة وفي التاريخ وفي الفكر وفي السلوك وغير ذلك.

وفي دراستنا لأدعية الزهراء -عليها السلام-، وتحديداً دراسة كيفية تناول (النبي) -صلى الله عليه وآله- في أدعيتها، يمكنه أن يمدنا بمعطيات مهمة، تكشف أمامنا

حقائق قد لا يكون التاريخ قد أنصفها فيها، بل هو كذلك، فالتاريخ الذي رعاه أعداء أهل البيت -عليهم السلام- حاول أن يهمّش دورهم في الرسالة وفي بناء الإنسان والحضارة الإسلامية.

وعندما تنكشف لنا الحقائق من دراستنا للأدعية المأثورة باعتبارها روايات صادرة عن أهل البيت -عليهم السلام-، فهذا يعني أنه ينبغي أن تضاف تلك الحقائق لتاريخ الزهراء -عليها السلام- وإلى تاريخها الرسالي الكبير.

النبي -صلى الله عليه وآله- في دعاء الزهراء -عليها السلام-

إننا نتناول موضوع النبي -صلى الله عليه وآله- في أدعية فاطمة الزهراء -عليها السلام-، باعتباره وحدة معرفية، وموضع دراسة، لعدة أسباب:

١: أنّ النبي -صلى الله عليه وآله- يمثل النبوة وهي وحدة معرفية فيها تحدي الإيمان الجديد بالنبي الجديد.

٢: أنّ النبي -صلى الله عليه وآله- له دور رسالي يمثل تحدي تبليغ الرسالة ونشرها.

٣: أنّ النبي -صلى الله عليه وآله- له دعوة تمثل تحدي المعارف الجديدة، التي يتطلب تثبيتها والتعامل وفق نهجها والسير على نهجها الجديد.

فكيف تناولت فاطمة الزهراء -عليها السلام- النبي -صلى الله عليه وآله- كموضوع في الدعاء؟

نورد اثني عشر نقطة هي جوانب اشتملت عليها أدعية الزهراء -عليها السلام- بشأن النبي -صلى الله عليه وآله-، وهي جوانب مهمة ولها ارتباط بالرسالة بشكل مباشر، وتبين مدى ارتباط الزهراء -عليها السلام- بالنبي كنبي مرسل من الله -تعالى-، وتوضح الدور الرسالي الرائد للزهراء -عليها السلام- في تشييد الدين وتبليغ الرسالة وتعزيز مكانتها وإعلاء شأنها.

والآن إليك النقاط مع شاهد من أدعية الزهراء -عليها السلام- لكل موضوع منها:

١: تثبيت النبوة

الدعوة الجديدة للنبي -صلى الله عليه وآله- بحاجة إلى أفراد يحملون هذا الإيمان الجديد ويصدعون به في الآفاق، كعامل من عوامل نشر الدين وتثبيت النبوة، فكان من دعائها في ذلك:

"وَأُشْهِدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَ رَسُولُكَ -صلى الله عليه وآله-"(٢).

٢: تثبيت الخاتمية

من أسس نبوة النبي محمد -صلى الله عليه وآله- هي فكرة الخاتمية في نبوته حيث لا نبي بعده، فهو خاتم الأنبياء ورسالته خاتمة الرسالات، وقد قال -تعالى-: **(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)(٣)**

ومن دعائها -عليها السلام- في تثبيت الخاتمية:

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ"(٤).

٣: تثبيت الملازمة بين النبي -صلى الله عليه وآله- وأهل بيته-عليهم السلام-

الملازمة بين النبي -صلى الله عليه وآله- وأحد من الناس، يعني أن لهذا الشخص أهمية بالغة ومحورية في الرسالة، وعندما تؤكّد سيدتنا الزهراء -عليها السلام- على الملازمة بين النبي -صلى الله عليه وآله- وأهل البيت -عليهم السلام- فهي تؤكد محورية أهل البيت -عليهم السلام-، وتبين دعما لهذه المحورية الأبدية، ومثال على هذه الملازمة، الأدعية التالية:

"أللهم صل على محمد وآل محمد كما أمرتنا أن نصلي عليه"(٥).

في دعاء المعروف بالحريق.. الذي علمه النبي لعلي وفاطمة..

"أللهم صل على محمد وآل محمد كما ينبغي لناأن نصلي عليه"(٦).

٤: تثبيت دور النبي -صلى الله عليه وآله- الإنقاذي للبشرية

تؤكد الزهراء -عليها السلام- في أدعيتها على دور الرسالة في إنقاذ الأمة ونجاتها، وأنها سبب الرفعة والمقام والعزّة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

فمن دعائها -عليها السلام- في ذلك:

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا هَدَيْتَنَا بِهِ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا رَحِمْتَنَا بِهِ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا عَزَّزْتَنَا بِهِ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا فَضَّلْتَنَا بِهِ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا شَرَّفْتَنَا بِهِ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا نَصَرْتَنَا بِهِ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا أَنْقَذْتَنَا بِهِ مِنْ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ"(٧).

٥: دعم الدور الرسالي للنبي -صلى الله عليه وآله-

الدعاء للنبي -صلى الله عليه وآله- بأن يوفقه الله تعالى لتبليغ رسالته، يعني أنها تقف وراء تلك الرسالة وتتبنى دور التشجيع، والتشجيع له دور نفسي كبير في أداء العمل ويؤثر في انطلاقته، فكان من دعائها في ذلك:

"اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ وَ أَعْلِ كَعْبَهُ وَ أَفْلِجْ حُجَّتَهُ وَ أَتْمِمْ نُورَهُ وَ ثَقِّلْ مِيزَانَهُ وَ عَظِّمْ بُرْهَانَهُ وَ افْسَحْ لَهُ حَتَّى يَرْضَى وَ بَلِّغْهُ الدَّرَجَةَ وَ الْوَسِيلَةَ مِنَ الْجَنَّةِ وَ ابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ وَ اجْعَلْهُ أَفْضَلَ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً وَ وَسِيلَةً"(٨).

٦: إعلاء شأن النبي -صلى الله عليه وآله- وبيان مقامه عند الله-تعالى-

من واجبات المؤمنين برسالة النبي -صلى الله عليه وآله- أن يظهروا للناس مقامه وعلو شأنه وحضوة عند الله تعالى، وعليهم الاعتراف بأنه أفضل الخلق وأكرمهم عند الله تعالى، وكان من دعاء الزهراء -عليها السلام- في ذلك:

"اللَّهُمَّ ذَا الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ وَ الصَّلَاةِ النَّافِعَةِ الرَّافِعَةِ الزَّاكِيَةِ صَلِّ عَلَى أَكْرَمِ خَلْقِكَ عَلَيْكَ وَ أَحَبِّهِمْ إِلَيْكَ وَ أَوْجَههِمْ لَدَيْكَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ الْمَخْصُوصِ بِفَضَائِلِ الْوَسَائِلِ أَشْرَفَ وَ أَكْرَمَ وَ أَرْفَعَ وَ أَعْظَمَ وَ أَكْمَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى مُبْلِغٍ عَنْكَ وَ مُؤْتَمَنٍ عَلَى وَحْيِكَ"(٩).

ومن نماذج إعلاء شأن النبي -صلى الله عليه وآله- أن جعلته -صلى الله عليه وآله-

مرجع كل خير، بل هو معدن الفضل الذي يكتسبه كل من انتمى إليه بصدق من أي جهة من الجهات، فالزهراء -عليها السلام- تدعوا بالرحمة لكل من ناله شرف الإتصال بالنبي -صلى الله عليه وآله- من أي جهة من جهات الفضل، فكان دعاؤها:

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطاهرين وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُنْتَجَبِينَ الموفين بعهده وعلى أَزْوَاجِهِ الْمُطَهَّرات وَ عَلَى ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ وَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَشَّرَ بِمُحَمَّدٍ وَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وَلَدَ مُحَمَّداً وَ عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ صَالِحَةٍ كَفَّلَتْ مُحَمَّداً وَ عَلَى كُلِّ ملكٍ هبط إلى محمد وعلى كل مَنْ فِي صَلَواتكَ عَلَيْهِ رِضًا لَكَ وَ رِضًا لِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ حَتَّى تُبَلِّغَهُمُ الرِّضَا وَ تَزِيدَهُمْ بَعْدَ الرِّضَا مِمَّا أَنْتَ أَهْلُهُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.."(١٠)

٧: الشهادة التاريخية للنبي بالإستقامة

لقد دعى الله تعالى النبي -صلى الله عليه وآله- للإستقامة في أداء دوره، بقوله: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(١١)، فإن مقام الإنسان هو في مدى انطباق دعواه مع واقعه العملي، وهذا يمثل جانب صدق وجانب عصمة، وقد شهد الله تعالى لنبيه بتلك الإستقامة في شتى الميادين، مثل قوله عز وجل: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(١٢)، وقوله تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(١٣) وغيرها من الآيات، وكان من دعاء الزهراء -عليها السلام- في ذلك:

(... اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ وَ رَوَافِهَ تَحِيَّاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ وَ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ الْقَائِمِ بِحُجَّتِكَ وَ الذَّابِّ عَنْ حَرَمِكَ وَ الصَّادِعِ بِأَمْرِكَ وَ الْمُشَيِّدِ بِآيَاتِكَ وَ الْمُوفِي لِنَذْرِكَ اللَّهُمَّ فَأَعْطِهِ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ وَ مَنْقَبَةٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنَازِلِهِ رَأَيْتَ مُحَمَّداً لَكَ فِيهَا نَاصِراً وَ عَلَى مَكْرُوهِ بَلَائِكَ صَابِراً وَ لِمَنْ عَادَاكَ مُعَادِياً وَ لِمَنْ وَالاكَ مُوَالِياً وَ عَنْ مَا كَرِهْتَ نَائِياً وَ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ دَاعِياً فَضَائِلَ مِنْ جَزَائِكَ وَ خَصَائِصَ مِنْ عَطَائِكَ وَ حَبَائِكَ تُسْنِي بِهَا أَمْرَهُ وَ تُعْلِي بِهَا دَرَجَتَهُ مَعَ الْقُوَّامِ بِقِسْطِكَ وَ الذَّابِّينَ عَنْ حَرَمِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى سَنَاءٌ وَ لَا بَهَاءٌ وَ لَا رَحْمَةٌ وَ لَا

كَرَامَةٌ إِلَّا خَصَصْتَ مُحَمَّداً بِذَلِكَ وَ آتَيْتَهُ مِنْهُ الذُّرَى وَ بَلَّغْتَهُ الْمَقَامَاتِ الْعُلَى آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِين))(١٤).

٨: الدعوة إلى اقتفاء أثره ونهجه.

إن دعوة القرآن هي: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(١٥)، فالنبي -صلى الله عليه وآله- هو المثال الذي يجب أن يحتذى والنهج الذي ينبغي أن يقتفى أثره، والزهراء -عليها السلام- في دعائها دعت إلى التأسي برسول الله -صلى الله عليه وآله-، وكان من دعائها في ذلك:

"وَ اقْصُصْ بِنَا أَثَرَهُ وَ اسْقِنَا بِكَأْسِهِ وَ أَوْرِدْنَا حَوْضَهُ وَ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَ تَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَ اسْلُكْ بِنَا سُبُلَهُ وَ اسْتَعْمِلْنَا بِسُنَّتِه"(١٦).

ومن دعائها -عليها السلام-..

"اللَّهُمَّ كَمَا سَدَدْتَ بِهِ الْعَمَى وَ فَتَحْتَ بِهِ الْهُدَى فَاجْعَلْ مَنَاهِجَ سُبُلِهِ لَنَا سَنَناً وَ حُجَجَ بُرْهَانِهِ لَنَا سَبَباً نَأْتَمُّ بِهِ إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْك"(١٧).

ومن دعائها -عليها السلام-

"وَ أَنْ تَهَبَ لِي يَقِيناً وَ هَدْياً وَ نُوراً وَ عِلْماً وَ فَهْماً حَتَّى أُقِيمَ كِتَابَكَ وَ أُحِلَّ حَلَالَكَ وَ أُحَرِّمَ حَرَامَكَ وَ أُؤَدِّيَ فَرَائِضَكَ وَ أُقِيمَ سُنَّةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ"(١٨) .

٩: محورية الصلاة على النبي -صلى الله عليه وآله- والدعاء له

قال -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)(١٩)، فالصلاة على النبي -صلى الله عليه وآله- وعلى آله -عليهم السلام-، لها محورية مهمة في مقام النبوة والإمامة معاً، فلقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يصلون على النبي -صلى الله عليه وآله- كما أنه -تعالى- يصلي عليه وكذا ملائكته، وكل صلاة لها معنى ودور، فصلاة الله هي رحمته، وصلاة الملائكة هي تزكيتهم، وصلاة المؤمنين هي دعاء له -صلى الله عليه وآله-، كما جاءت بذلك الروايات الشريفة، ولذا كانت الصلاة

على النبي -صلى الله عليه وآله- أفضل الذكر وبها يستجاب الدعاء، وبها تقضى الحوائج وتتم الأعمال، ولها البركات العظيمة في الدنيا والآخرة، وقد أكدت الزهراء -عليها السلام- في أدعيتها على الصلاة على النبي -صلى الله عليه وآله- وذكرتها بعدة أساليب، تؤكد محوريتها وأهميتها:

"اللَّهُمَّ وَ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَ بَرَكَاتِكَ وَ مَنَّكَ وَ مَغْفِرَتَكَ وَ رَحْمَتَكَ وَ رِضْوَانَكَ وَ فَضْلَكَ وَ سَلَامَتَكَ وَ ذِكْرَكَ وَ نُورَكَ وَ شَرَفَكَ وَ نِعْمَتَكَ وَ خِيَرَتَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ وَ بَارَكْتَ وَ تَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ الْعُظْمَى وَ كَرِيمَ جَزَائِكَ فِي الْعُقْبَى حَتَّى تُشَرِّفَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا إِلَهَ الْهُدَى"(٢٠).

ومن صلاتها على النبي -صلى الله عليه وآله-:

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ ارْحَمْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ وَ بَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَ الْفَضْلَ وَ الْفَضِيلَةَ وَ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ كُلِّ صَلَاةٍ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ فِي صَلَاةٍ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ شَعْرِ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ شَعْرِ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ نَفَسِ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ نَفَسِ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ سُكُونِ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ"(٢١).

ومن صلاتها على النبي -صلى الله عليه وآله- الطموح العالي في عدد الصلوات إلى ما ليس فيه فجوة، كصلاة من لم يصلّ عليه وحركة من صلى عليه، فهي تطلب الصلاة على النبي -صلى الله عليه وآله- بعدد من صلى ومن لم يصلّي..

"أللَّهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ كل شعرة ولفظة ولحظة ونفس وصفة وسكون وحركة ممن صلّى عليه وممن لم يصلي عليهِ"(٢٢).

١٠: التوسل بالنبي -صلى الله عليه وآله-

تأكيداً وتثبيتاً لعقيدة التوسل التي قال عنها الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(٢٣)، توسلت فاطمة الزهراء -عليها السلام- بالنبي -صلى الله عليه وآله- كأحد أهم الوسائل إلى الله تعالى، وذلك في دعائها:

"أللهم صل على محمد وأهل بيته الطيبين وعجِّل فرجهم وفرجي وفرِّج عن كل مهموم ومغموم ومديون من المؤمنين والمؤمنات، أللهم صل على محمد وآل محمد وارزقني نصرهم واشهدني أيامهم" (٢٤).

١١: افتقاد النبي وبيان أثر رحيله وما جرى على أمته وعلى عترته بعد فقده

من أدعية الزهراء -عليها السلام- كان بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وآله-، وقد تناولت النبي -صلى الله عليه وآله- في الأدعية هذه، بذكر ما جرى على الأمة باعتبارها أمة النبي -صلى الله عليه وآله- التي أسس أركانها وشيّد حضارتها، فكان من الأشقياء من انقلب على عقبه، كما في قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)(٢٥).

ومن دعائها في ذلك:

(اللهم إليك نشكو فقد نبيك ورسولك وصفيك وارتداد أمته، ومنعهم إيانا حقنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيك بلسانه)(٢٦).

(اللهم إنهما ظلما إبنة محمد نبيك حقها، فاشدد وطأتك عليهما)(٢٧).

١٢: التمسك بنهجه بعد وفاته وتمني الحشر معه -صلى الله عليه وآله-

إن النبي -صلى الله عليه وآله- كان نهجاً، فمن آمن به واتبعه، فعليه أن يستمر على النهج ويستقيم على تطبيقه، فلا تنقطع الرسالية بل هي مستمرة، فكان من دعاء فاطمة الزهراء -عليها السلام- في التمسك بنهج النبي -صلى الله عليه وآله- بعد وفاته، والدعاء بالطلب أن تحشر معه، وهذا يدل على الدور الرسالي لفاطمة الزهراء -عليها السلام- بعد استشهاد النبي -صلى الله عليه وآله-ومن مصاديق التمسك بنهجه هو السلام عليه -صلى الله عليه وآله-، لأن السلام على العصوم بعد وفاته هو تواصل إيماني، يجدد العهد معه، وكان من دعاء سيدتنا فاطمة (عليها أفضل الصلاة والسلام):

"- يارب - بَلِّغْ رُوحَ مُحَمَّدٍ مِنَّا التَّحِيَّةَ وَ السَّلَامَ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ فَهُوَ كَمَا وَصَفْتَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ اللَّهُمَّ أَعْطِهِ أَفْضَلَ مَا سَأَلَكَ وَ أَفْضَلَ مَا سُئِلْتَ لَهُ وَ أَفْضَلَ مَا أَنْتَ مَسْئُولٌ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِين"(٢٨).

الهوامش:

١. سورة غافر/ الآية : ٦٠ .

٢. بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٨٣ / ص ٨٧.

٣. سورة الأحزاب / الآية : ٤٠ .

٤. العلامة المجلسي/ المصدر السابق / ج ٨٣ / ص٦٨.

٥. الصحيفة الفاطمية الجامعة لأدعية بنت رسول الله سيدة النساء فاطمة الزهراء -عليها السلام-/ السيد محمد باقر الأبطحي/ تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي-عجل الله فرجه-/ قم المقدسة/ ط١/ ١٤٢١هـ/ المطبعة اعتماد/ ص: ٣٧.

٦. المصدر نفسه/ ص: ٢١ .

٧. المصدر نفسه/ ص:٥٢ .

٨. المصدر نفسه/ ص: ٥٢ .

٩. المصدر نفسه/ ص:٣٧

١٠. المصدر نفسه/ ص: ٣٦ .

١١. سورة هود / الآية : ١١٢ .

١٢. سورة القلم / الآية : ٤ .

١٣. سورة النجم / الآية : ٣،٤ .

١٤. السيد محمد باقر الأبطحي/ المصدر السابق/ ص: ٦٧ .

١٥. سورة الأحزاب / الآية : ٢١ .

١٦. المصدر السابق/ ص: ٥٣

١٧. المصدر نفسه/ ص: ٥٧

١٨. العلامة المجلسي/ المصدر السابق / ج ٨٣ / ص ١١٦.

١٩. سورة الأحزاب/ الآية : ٥٦ .

٢٠. السيد محمد باقر الأبطحي/ المصدر السابق/ ص: ٥٨ .

٢١. المصدر نفسه/ ص:٣٧.

٢٢. المصدر نفسه/ ص: ٢٢

٢٣. سورة المائدة : ٣٥ .

٢٤. السيد محمد باقر الأبطحي/ المصدر السابق/ ص : ٤٢.

٢٥. سورة آل عمران : ١٤٤.

٢٦. العلامة المجلسي/ المصدر السابق / ج ٥٣ / ص١٩.

٢٧. السيد محمد باقر الأبطحي/ المصدر السابق/ ص٧٨.

٢٨. العلامة المجلسي/ المصدر السابق / ج ٨٣ / ص١٠٥.

شذرات من حياة المقداد الكندي -رضوان الله عليه-

الشيخ محسن شمام
خطيب حسيني

اسمه الحقيقي، واسم أبيه وقبيلته: المقداد بن عمرو، بن ثعلبة، بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهرائي.

له اسم آخر اشتهر به، وهو: «المقداد بن الأسود الكندي» . فما هي حكاية هذا الاسم وهذه الشهرة . . ؟

كان عمرو بن ثعلبة من شجعان بني قومه، يتمتع بجرأة عالية ربما لم تتهيأ لأحد غيره منهم، دفعته لأن ينال فيهم دماً، فاضطر إلى الجلاء عنهم حفاظاً على نفسه، وحمايةً لها من طلب الثّأر، فلحق بحَضرَمَوت.

وحالف قبيلة كندة التي كانت تتمتع بهيبةٍ مميزة من بين القبائل، وهناك تزوج امرأة منهم، فولدت له المقداد(١).

نشأ الفتى في ظل أبيه ورعايته، وحنان أمّه وعطفها، ضمن مجتمع ألِفَ مقارعة السّيوف، ومطاعنة الرّمح، فكانت الشّجاعة إحدى سجاياه التي اتّصف بها فيما بعد، حتى إذا بلغ سنّ الشّباب أخذت نوازع الشّوق إلى أرومته ومضارب قومه في بهراء تدبّ في نفسه فتدفعه إلى تخطّي آداب «الحلف» غير مكترثٍ ولا مبالٍ.

فقد أحسّ أنّ اغترابه هذا، وبُعده عن الأهل والوطن إنّما حدث نتيجة لذنبٍ اقترفه أبوه حيال قومه، وأنّ الحلف لا يعني أكثر من قيدٍ « مهذب » يضعه الحليف في عنقه، وأعناق بنيه!. بالرغم من براءة ساحتهم . . كان هذا الشّعور يراوده بين الفينة والفينة فتستيقظ في نفسه رغبة الانتقام من حلفائه والتّمرّد على تقاليدهم، لذا، فلم يكن هو الآخر أسعد حظاً من أبيه، حيث اقترف ذنباً مع مضيفيه « وأخواله » فاضطرّ إلى الجلاء عنهم أيضاً .

فقد ذكروا أنه: حين كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي ـ أحد زعماء كندة ـ خلافٌ، فما كان من المقداد إلا أن تناوله بسيفه، فضرب رجله وهرب إلى مكة (٢).

حين وصل إلى مكة، كان عليه أن يحالف بعض ساداتها كي يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ، لكن طموحه كان يدفعه إلى إختيار الرجل القوي المرهوب الجانب، فكان يتريث في ذلك، وكان يقول: لأحالفنَّ أعزّ أهلها ! ولم يخنع ولم يضعف فحالف الأسود (*) بن عبد يغوث الزهري (٣) فتبناه ، وكتب إلى أبيه بذلك ، فقدم عليه مكة .

منذ ذلك اليوم صار إسمه المقداد بن الأسود، نسبة لحليفة، والكندي، نسبةً لحلفاء أبيه .

وقد غلب عليه هذا الإسم ، واشتهر به ، حتى إذا نزلت الآية الكريمة : (**أدعُوهُم لآبائِهم**) قيل له : المقداد بن عمرو .

وكان يكنى أبا الأسود ، وقيل : أبو عمرو ، وأبو سعيد (٤) وأبو معبد .

ومن أهم ألقابه : « حارس رسول الله » (٥).

صفاته وأخلاقه

كان فارع الطول ، أبيض اللون ، صبيح الوجه ، يصفّر لحيته ، كثير شعر الرأس ، أبطن ، ضخم الجثة ، واسع العينين ، مقرون الحاجبين ، أقنى الأنف ، جميل الهيئة ، كما يستفاد ذلك من وصف إبنته له (٦) .

وكان فارساً شجاعاً « يقوم مقام ألف رجل » على حد تعبير عمرو بن العاص (٧). وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٨). وهو أول فارس في الإسلام وكان من الفضلاء النجباء ، الكبار ، الخيار من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (٩) سريع الإجابة إذا دعي إلى الجهاد حتى حينما تقدمت به سنه، وكان يقول في ذلك : أبت علينا سورة البحوث (١٠) انفروا خفافاً وثقالاً .

وكان إلى جانب ذلك رفيع الخلق ، عالي الهمة ، طويل الأناة ، طيب القلب صبوراً على الشدائد ، يحسن إلى ألدّ أعدائه طمعاً في استخلاصه نحو الخير ، صلب الإرادة ، ثابت

اليقين ، لا يزعزعه شيء ، ويكفي في ذلك ما ورد في الأثر :

« ما بقي أحدٌ إلا وقد جال جولة إلا المقداد بن الأسود فإن قلبه كان مثل زبر الحديد » (١١) وهو من الذين مضوا على منهاج نبيهم ولم يغيروا ولم يبدلوا (١٢).

عظيم القدر ، شريف المنزلة ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد ، تجمعت فيه ـ رضي الله عنه ـ أنواع الفضائل ، وأخذ بمجامع المناقب من السبق ، والهجرة، والعلم ، والنجدة ، والثبات ، والأستقامة ، والشرف والنجابة (١٣) .

إسلامه

الذي يظهر من مجمل النصوص أن المقداد كان من المبادرين الأُول لاعتناق الإسلام ، فقد ورد فيه : أنه أسلم قديماً (١٤)، وذكر ابن مسعود أن أول من أظهر إسلامه سبعة، وعدّ المقداد واحداً منهم .

إلا أنه كان يكتم إسلامه عن سيده الأسود بن عبد يغوث خوفاً منه على دمه شأنه في ذلك شأن بقية المستضعفين من المسلمين الذين كانوا تحت قبضة قريش عامة ، وحلفائهم وساداتهم خاصة ، أمثال عمار وأبيه وبلالٍ وغيرهم ممن كانوا يتجرعون غصص المحنة ؛ فما الذي يمنع الأسود بن عبد يغوث من أن يُنزل أشد العقوبة بحليفه إن هو أحس منه أنه قد صبأ إلى دين محمد ؟ ؟ سيما وأن الأسود هذا كان أحد طواغيت قريش وجباريهم ، وأحد المعاندين لمحمد –صلى الله عليه وآله وسلم– والمستهزئين به وبما جاء ، إنه ـ ولا شك ـ في هذا الحال لن يكون أقل عنفاً مع حليفه من مخزوم مع حلفائها .

لأجل هذا كان المقداد يتحين الفرص لإنفلاته من ربقة « الحلف » الذي أصبح فيما بعد ضرباً من العبودية المقيتة ، ولوناً من ألوان التسخير المطلق للمحالف يجرده عن كل قيمة، ويُحرم معه من أبسط الحقوق .

وفي السنة الأولى للهجرة قُيّضت له الفرصة لأن يلتحق بركب النبي محمد –صلى الله عليه وآله وسلم– وأن يكون واحداً من كبار صحابته المخلصين .

« فقد عقد رسول الله -صلى الله عليه وآله- لعمه حمزة لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعرضوا عِير قريش ، وكان هو وصاحب له ، يقال له : عمرو بن غزوان لا زالا في صفوف المشركين ، فخرجا معهم يتوصلان بذلك ، فلما لقيهم المسلمون إنحازا إليهم » (١٥) فكانت بداية الجهاد الطويل ! .

تَشيُّع المقداد ودعوته الناس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب-عليه السلام-

كان للمقداد مواجهة إعتمد فيها اسلوب الدعوة للإمام علي-عليه السلام- بكل صراحة ووضوح، فقد كان يرى أن الخلافة حق مشروع لعليٍّ -عليه السلام- وثابت له دون غيره، وعلى هذا الأساس إنطلق في دعوته له، وكان جريئاً في ذلك غير متكتم ولا مبالٍ بالنتائج مهما كانت؛ وكان يتخذ من مسجد الرسول -صلى الله عليه وآله- في المدينة مقراً لبَثِّ دعوته تلك، مبتدأً بعرض ظلامة الإمام علي -عليه السلام- حول هذا الأمر ثم يطرح أمام الجمهور فضائله وكراماته وسابقته منتهياً ببيان أحقيته في الخلافة بأسلوب فريد وكأنه محام بارع أسند إليه القيام بهذا الدور.

روى بعضهم، فقال: دخلت مسجد رسول الله -صلى الله عليه وآله- فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّفُ تلهُّفَ من كأن الدنيا كانت له فسُلبها، وهو يقول :

واعجباً لقريش ! ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين وابن عم رسول الله ، أعلم الناس وافقههم في دين الله وأعظمهم فناءً في الإسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم !

والله لقد زوُوها عن الهادي المهتدي، الطاهر النقي، وما أرادوا إصلاحاً للأمة، ولا صواباً في المذهب، ولكن آثروا الدنيا على الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

قال : فدنوت منه وقلت: من أنت يرحمك الله، ومن هذا الرجل ؟

فقال: أنا المقداد بن عمرو ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب !

قال: فقلت : ألا تقوم بهذا الأمر ، فاعينك عليه ؟!

فقال: يا بن أخي ، إنَّ هذا الأمر لا يجري فيه الرجل والرجلان !!

وكان يشاركه في هذا الرأي جماعة، منهم : أبو ذر الغفاري، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وغيرهم.

قال : ثم خرجت فلقيتُ أبا ذر فذكرتُ له ذلك، فقال: صدق أخي المقداد ! ثم أتيتُ عبد الله بن مسعود ، فذكرت ذلك له، فقال: لقد أُخبرنا، فلم نألُ (١٦).

وكان هذا الموقف يتكرر منه أكثر من مرة وفي اكثر من مناسبة بلهجةٍ تختلف ليناً وشدةً باختلاف الظروف .

روى أحمد بن عبد العزيز الجواهري . . عن المعروف بن سويد ، قال:

كنت بالمدينة أيام بويع عثمان، فرأيت رجلاً في المسجد جالساً وهو يصفق باحدى يديه على الأخرى والناس حوله، ويقول: واعجباً من قريش واستئثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت ، معدن الفضل، ونجوم الأرض، ونور البلاد! والله إن فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أولى منه بالحق، ولا أقضى بالعدل ولا آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر!

فسألت عنه ، فقيل: هذا المقداد . فتقدمت إليه وقلت: أصلحك الله ؛ من الرجل الذي تذكر !؟

فقال: ابن عم نبيك -رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- علي بن أبي طالب .

قال: فلبثت ما شاء الله، ثم لقيت أبا ذر -رحمه الله- فحدثته بما قال المقداد. فقال: صدق؛ قلت: فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم؟!

قال: أبى ذلك قومهم:

قلت: فما يمنعكم أن تعينوهم؟!

قال: مَهْ (١٧) ؟ لا تقل هذا، إياكم والفرقة والإختلاف (١٨)!!

ومرةً ثالثةً نراه ينهج نهجاً أشد لا يخلو من القسوة ؛ والصراحة الزائدة في التعبير

عما يجول في نفسه، أزاء هذا الأمر ، واضعاً خصمه أمام الأمر الواقع غير متحرج ولا مداهن كما حدث ذلك بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ـ على ما جاء في شرح النهج ـ .

قال جندب * بن عبدالله الأزدي: كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان فجئت، فجلست الى المقداد بن عمرو فسمعته يقول: والله ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت! ـ وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً ـ فقال: وما أنت وذاك يا مقداد؟!

قال المقداد: والله إني أحبهم لحب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- واني لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله ثم انتزاعهم من أهله!

قال عبد الرحمن: أما والله، لقد أجهدتُ نفسي لكم.

قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون؛ أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدرٍ وأُحد!!

فقال عبد الرحمن: ثكلتك أُمك! لا يسمعن هذا الكلام الناس؛؛ فإني أخاف أن تكون صاحب فتنةٍ وفرقةٍ .

قال المقداد : إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنةٍ، ولكن من أقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحق، فذلك صاحب الفتنة والفرقة! ـ يعرّض بعبد الرحمن ـ.

قال: فتربّدَ وجه عبد الرحمن، ثم قال: لو أعلم أنك إياي تعني ، لكان لي ولك شأن! .

قال: المقداد إياي تهدد ، يابن أم عبد الرحمن ؟ ثم قام عن عبد الرحمن فانصرف .

قال جندب : فاتبعته، وقلت له: يا عبد الله، أنا من أعوانك!

فقال: رحمك الله؛ إن هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة! . .(١٩).

هذه هي بعض مواقف المقداد، وتلك هي آراؤه !! انها لا تدع مجالاً للشك في أنه كان أحد المبرزين الذين لم يكونوا شيعة فقط، بل نهضوا بالدعوة الى التشيع أو بالدعوة لعليّ عليه السلام- ما شئت فعبر ـ على أوسع نطاق وبأصرح عبارة، ولم تكن مواقفه وآراؤه

تلك مرهونةً بعهد معين كما ربما يتصور البعض ، بل كان هذا رأيه في علي منذ وفاة النبي -صلى الله عليه وآله- لم يتغير ولم يتبدل قط . فقد ورد في ذلك قول الشيخ المفيد رحمه الله تعالى :

« فاختلفت الأمة في امامته يوم وفاة النبي -صلى الله عليه وآله- فقالت شيعته وهم: بنو هاشم كافة . . وسلمان وعمار . . والمقداد . . (٢٠) .

وفي تاريخ اليعقوبي: في ذكر الذين مالوا مع علي بن أبي طالب ، عدّ منهم : « المقداد بن عمرو . . » (٢١) بل كان أحد الذين أطلق عليهم لفظ شيعة في عهد النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كما يقول السجستاني وغيره (٢٢) ولا أرى موجباً للإطالة في هذا الموضوع لأنه أصبح معروفاً لا يخفى على من « كان له قلب »!.

على لسان النبي -صلى الله عليه وآله- والأئمة -عليهم السلام-.

الأحاديث الواردة حول بيان فضل المقداد ـ على لسان الرسول -صلى الله عليه وآله- ـ جاءت شاملة له ولبعض الصحابة -رضي الله عنهم- .

من ذلك ، ما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : سألت رسول الله عن سلمان الفارسي . . إلى أن قال قلت : فما تقول في المقداد ؟

قال -صلى الله عليه وآله-: وذاك منا، أبغض الله من أبغضه، وأحب من أحبه! (٢٣).

وعنه -صلى الله عليه وآله- أنه قال:حذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن . . إلى أن قال : والمقداد بن الأسود من المجتهدين .

وعن أنس : أن النبي -صلى الله عليه وآله- سمع رجلاً يقرأ ويرفع صوته بالقرآن! فقال -صلى الله عليه وآله وسلم- : أوّاب * . وسمع آخر يرفع صوته، فقال: مُرَاءٍ! فنظرنا، فإذا الأول المقداد بن عمرو (٢٤).

وفاته - رضي الله عنه-.

نيف وثلاثون سنة، قضاها أبو معبد فارساً في ميادين الجهاد، ابتداءً بغزوة بدر، وانتهاءً بفتح مصر! وقد كانت هذه السنين هي سني التأسيس، لذلك كانت صعبةً ومرّةً قاسيةً كابد فيها المسلمون المصاعب والمتاعب، فكان نصيب أبي معبد منها الحظ الأوفر والكأس الأوفى حيث لم تخلو منه ساحة جهاد على ما نعهد، فقد ورد في ذلك أنه « شهد المشاهد كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وبعده إلى أن أدركته الوفاة . . »(٢٥).

وكانت وفاته في سنة ٣٣ للهجرة أو أقل - على اختلاف الروايات ....، وقد بلغ من العمر سبعين سنة (٢٦).

وكان قد أوصى إلى عمار بن ياسر ، فصلى عليه ولم يؤذن عثمان به، فلما بلغ عثمان موته، جاء حتى أتى قبره، فقال: رحمك الله ، إن كنتَ وإن كنتَ يثني عليه خيراً ! فقال الزبير بن العوام :

لالفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي زودتني زادي (٢٧).

معرضاً بالعداء الذي كان بينه وبين المقداد ، فقال عثمان :

يا زبير؛ تقول هذا ؟ ! أتراني أحب أن يموت مثل هذا من أصحاب محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو عليّ ساخط!! (٢٨).

وكان عمار قد صلى على ابن مسعود من قبل ولم يؤذن به عثمان، فساءه ذلك واشتد غضبه على عمار، وقال: « ويلي على ابن السوداء! أما لقد كنت به علياً » (٢٩) .

أسماء الذين رووا عنه

روى عنه من الصحابة :

الإمام علي -عليه السلام-، وابن عباس ، والمستورد بن شداد ، وطارق بن شهاب، وغيرهم.

ومن التابعين:

عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وميمون بن أبي شبيب ، وعبد الله بن عدي بن الخيار ، وجبير بن نفير ، وغيرهم .(٣٠).

الهوامش:

١ ـ الإصابة (ابن حجر العسقلاني) (٨٥٢ هـ) أوفست عن ط مصر ١٣٢٨ ه/ جـ٣ / ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

٢ ـ المصدر نفسه/ ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥. .

٣ ـ المستدرك على الصحيحين/ (الحاكم النيشابوري) محمد بن عبدالله (٤٠٥ هـ)/ الرياض/ مكتبة ومطابع النصر/ ج٣ / ص ٣٤٨ .

٤ ـ المصدر نفسه/ ج٣ / ص ٣٤٨ .

٥ ـ نفس المصدر، كما يستفاد ذلك من مطاوي الحديث .

٦ ـ قالت ابنته كريمة: كان رجلاً طوالاً ، آدم (أبيض) أبطن ، كثير شعر الرأس يصفّر لحيته وهي حسنة ، ليست بالعظيمة ولا بالخفيفة ، أعين ، مقرون الحاجبين أقنى ، المستدرك ٣ / ٣٤٨ .

٧ ـ تاريخ اليعقوبي/ (أحمد بن أبي يعقوب) / بيروت ـ دار صادر ـ دار بيوت/ ١٩٦٠م/ ج١ / ١٤٨ .

٨ ـ الإستيعاب / (ابن عبد البر) يوسف بن عبدالله/ (٤٦٣ هـ) / ج ٣ / ٤٧٣ .

٩ ـ المستدرك ٣ / ٣٤٨ .

١٠ ـ هي سورة التوبة ، ولها عشر أسماء ، منها سورة البحوث ، سميت بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم ، ومن اسمائها : الفاضحة ، الخ ـ راجع

مجمع البيان ٥ / ١ .

١١_ معجم رجال الحديث (السيد الخوئي) ـ النجف ـ الآداب/ ج ١٨ / ٣٦٠ و ٣٦٣ .

١٢) ـ المصدر نفسه/ ج ١٨ / ٣٦٠ و ٣٦٣ .

١٣ ـ رجال بحر العلوم/ (السيد محمد مهدي بحر العلوم/ ١٢١٢ هـ)/ النجف ، الآداب/ ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥/ ج ٣/ ٣٤٥ .

١٤ ـ الإصابة ٣/ ٤٥٤ وكذلك في أسد الغابة ٣/ ٤١٠ .

١٥ ـ الكامل في التاريخ/ (ابن الأثير) علي بن محمد ٦٣٠ هـ/ بيروت دار صادر ـ دار الكتاب/ ج ٢ / ١١١ وقيل : التحقا بالمسلمين في شوال حين بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سريةً بقيادة عبيدة بن الحارث . راجع نور اليقين/ (مجموعة الشيخ عبد الحليم محمود) / بيروت / ص ١٠٨ .

١٦ ـ اليعقوبي/ ج ٢ / ص١٦٣ .

١٧ ـ مَهْ : اكفف .

١٨ ـ شرح نهج البلاغة/ (ابن ابي الحديدي عز الدين) (٦٥٦ هـ)/ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم/ مصر ـ دار احياء التراث العربي/ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥/ ج ٩ / ص٢١ .

١٩ ـ شرح النهج/ ج ٩ / ص ٥٦ وما بعدها .

٢٠ ـ الارشاد/ ١٠ .

٢١ ـ اليعقوبي/ ج ٢ / ص ١٢٤ .

٢٢ ـ للتفصيل راجع كتاب (أبو ذر) للشيخ محمد جواد الفقيه/ دار الفنون ، بيروت / ١٩٨٠ ـ ١٤٠٠/ ص٥٤ وما بعدها .

٢٣ ـ السيد أبو القاسم الخوئي/ المصدر السابق/ ج ١٨ / ص ٣٦٨ .

٢٤ ـ الاستيعاب ج٣ / ص ٤٧٥) .

٢٥ ـ راجع وتهذيب الأسماء/ (النوري) محي الدين بن شرف/ (٦٧٦ هـ)/ بيروت ـ دار الكتب العلمية/ ج٢ / ١١٢. والغدير/ (الاميني) عبد الحسين أحمد/ بيروت ـ دار الكتاب العربي/ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ / ط الرابعة/ ج ٩ / ص ١١٦ .

٢٦ ـ المصدر نفسه/ ج ٩ / ص ١١٦ . .

٢٧ ـ الطبقات ٣ / ١٦٣ واليعقوبي ٢ / ١٧١ .

٢٨ ـ سفينة البحار مادة : قدد .

٢٩ ـ اليعقوبي ٢ / ١٧١ .

٣٠ ـ أسد الغابة/ (ابن الأثير) علي بن محمد / (٦٣٠ هـ) / اوفست ، طهران/ ج٣ / ص ٤١٠ .

محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

سيد الكون

الدكتور أمجد التميمي

أيلفحنا الهجير وأنت ظل ... ويشكل دهرنا وهداك حلُ
ونستبق الخصام عمىً واضحى ... بنورك كل شيء يستدل
محمدُ أيها المبعوث نوراً ... أنار بنورك النور الأجل
بك الآيات تفخر حين تتلى ... فمن لولاك يذكرها ويتلو
حديثك من حروف الذكر نسجٌ ... ووعدك من أعالي الغيب حبل
نداك كرامة وهواك عزٌ ... وكل موائد الشنئان ذل
محمد أيها الأدنى محلاً ... سوى قوسيك ما عرف المحل
وأدنى من مدى القوسين ... ادنى وأدنى أيها العشاق صلوا
أقول قصيدتي والشعر بذل ... ومطلعها بذكرك يستهل
وعذراً ان تجرأت القوافي ... عليك فكيف يذكرك الأقل
فكم ركب الصعاب اسير شوقٍ ... على سحب الظمأ يغريه وصل
سألتك عاشقاً حيران أرجو ... نداك وفيك سر العشق فضل
رأيت الشعر يسجد في فطامي ... أيخرجني ترى وهو الأذل
وتأسرني صفاتك ذا لساني ... لدهشتهِ على مولاه كل
أعن قولي فمعناك التجلي ... أيا معنىً سما فاحتار قول
ويا ألف الحروف على بساط ... لها الف قيام الغيب اصلُ
ترادفت احتجاباً في ظهورٍ ... ومالهما بهذا الكون مثل
ولولا النقطة العلياء بانت ... فكنت الباء لاشتبه المحل
فنقطة بائك الباب المعلى ... وهمزة وصلها الزهراء تجلو
وذي الكلمات ما نفذت بريقاً ... وفيها عن مدى الأقلام شغل
فمن انى مغيبهن يبدو ... ومنتظرٌ يتممهن عدل

فما ابغى السرور على البرايا ... اذا ما غيبن فرحاً أهلوا
محمدُ في غليظ الظلم نبلُ ... محمدُ في رقيق الجفن كحل
محمد للظمأ المذبوح نهلُ ... محمد للواء المعقود نصل
محمد حين ابسم منه عدلُ ... ترجلت السماء وقام رمل
وشعشع في المدى غبشٌ وأرخى ... من الاصباح فوق الارض هم
محمد حجه لله تحيا ... وأنى من سناك الارض تخلو
تمد الرحمة المهداة ذكراً ... الى كل القلوب فكيف تسلو
كفا بك ياحبيب الروح قدساً ... صلاة الله في ذكراك تعلو
فيا من آمنوا قد طاب شمل ... بمولده على ياسين صلوا

SURR